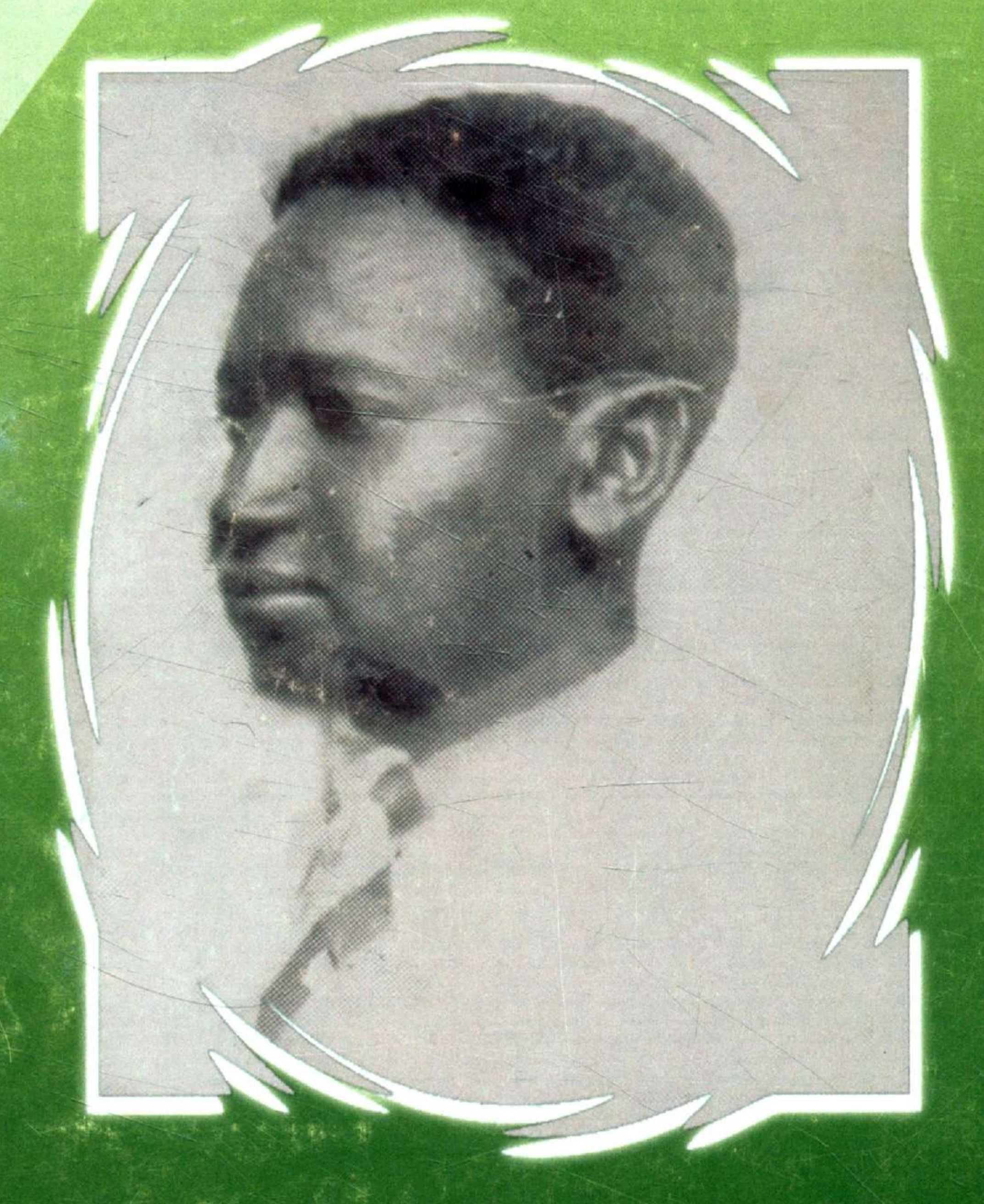
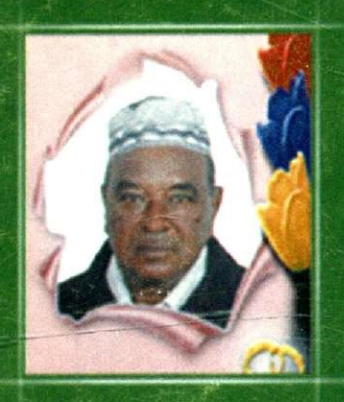
معاوية محمد نور

الأديب العبقري



عميد/ عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ

يونيو ٢٠٠٩م



سيرة ذاتية

عبد الرحمن حسن عبد الحفيظ (عميد معاش)

- ❖ من مواليد مدينة أم درمان، التحق بالكلية الحربية عام ١٩٥٩م.
- ❖ عمل مديراً لشعبة البحوث العسكرية في عام ١٩٧٢م.
- ❖ عمل مديراً للتوجيه المعنوي عام ١٩٧٩م.
- ❖ المستشار الإعلامي لجمعية الضباط المتقاعدين.
- ❖ كاتب مشارك بمجلة المتحف الحربي.
- ❖ كاتب عمود يومي بصحيفة الوطن (من هنا وهناك).
- ❖ كاتب عمود بصحيفة السوداني (سين وجيم).
- ❖ عمل كاتباً بالعديد من الصحف اليومية.
- ❖ عمل رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة العامة للطباعة والنشر (إنتشار).
- ❖ عضو اللجنة التنفيذية للإتحاد العام للأدباء والكتاب السودانيين.

• له العديد من المؤلفات صدر منها :

- ❖ شعراء في دائرة الضوء.
- ❖ صحفيون تحت المجهر.
- ❖ حكام وادي النيل والكأس المر.
- ❖ معاوية محمد نور الأديب العبقري.

رقم الإيداع ٥٨٧ / ٢٠٠٧م

تصميم و طباعة آفاق الحاسوب أمدرمان - ت: ٥٥٨١٠٤

تقديم

التحية للقائمين على أمر الثقافة في وطننا العزيز ولوزراء الثقافة الأستاذ محمد يوسف والأساتذة أمين حسن عمر والأستاذ محمد أبو زيد، هاشم هارون، سيد هارون ولوزير الإتصالات الزهاوي إبراهيم مالك.

التحية لقادة الإتحاد العام للأدباء والكتاب السودانيين د/ عمر قدور والأستاذ الفاتح حمدتو و د/ حديد السراج واللواء الركن/ أبو قرون عبد الله أبو قرون وأعضاء المكتب التنفيذية والتحية لرموز الثقافة البروف علي شمو والاستاذ هاشم الجاز و د/ أبوبكر وزيري والأستاذ السني بانقا والأديب نبيل غالي والأساتذة عيسى الحلو وأحمد عبد المكرم ومصعب الصاوي وروح الأستاذ أحمد اسماعيل شيلاب ود الطاهر محمد علي ود/ هاشم ميرغني وعثمان شنقر وأحمد عمر خوجلي ومصطفي الصاوي ود/ محمود شعراني ومجذوب عيدروس ود/ محمد مصطفى الأمين وصديق الحلو وإلى المبدعين الخير عبد الجليل وللكاتب المبدع د/ إبراهيم دقش والتحية لمنتدى الثلاثاء النهاري والأستاذ محمد عمر عبد القادر وجهده المقدر وللشباب أبو عاقلة ادريس واحمد النور منزول ومحمد خير اكليل ومحمد اسماعيل الرفاعي و حاتم بابكر عوض الكريم وعلي ياسين آدم ونترحم على روح شرحبيل محمد نور والرشيد عثمان خالد وتحية للعقيد محمد نور عثمان خالد والتحية للأستاذ محمد الفاتح ابو دقن والاستاذ سعد محمود الفكي والاستاذ المبدع نادر أحمد الشريف الحبيبر والتحية لأسرة صحيفتي السوداني والوطن والأساتذة سيد أحمد خليفة وعادل سيد أحمد وعصام عباس وخالد ساتي ومحجوب عروة ونور الدين مدني وأحمد طه وخالد عبد العزيز، ود/ حسن أبشر الطيب والتحية للعميد عمر النور والتحية للأستاذة هالة قاسم خير خلف لخير سلف الأستاذ عثمان عبد الرحمن، التحية لآمال عباس ود/ بخيتة أمين د/ تيتاوي وأركان حريه وحاتم الشيخ والسر السيد وميرغني حسن علي ومحمد جيلاني وعز الدين ميرغني ود/ عبد القادر الرفاعي وبثينة خضر ونفيسة الشرقاوي وزينب بليل والزبير سعيد وصلاح الدين مصطفى والصادق الرضي

ومركز البرير الثقافي وعبد العظيم اكول ومركز عبد الكريم ميرغني ود/ كمال ومركز راشد دياب ومركز البشير الريح د/ حديد السراج ونصر الدين عثمان للكمبيوتر ود/ زهير السراج وعبد الله عبيد وحمد النيل فضل المولى والتحية للمبدع المسوءل خلف الله وإلى أسرتي د/ عباس حسن واللواء محمد حسن وإبني بابكر عبد الرحمن واخوته ود/ محمد المهدي بشرى والتحية لأحمد الطيب القطينة قلب الأسد وفي شمال الوادي الأستاذ محمد سلماوي ومدير مكتبة الاسكندرية الدكتوراسماعيل سراج الدين والأستاذ الرائع جمال الغيطاني وترحم على الأديب الكبير عباس محمود العقاد والروائي العالمي نجيب محفوظ.

المؤلف

معاوية محمد نور

معاوية نور ينتمي الى قبيلة العمراب ولها فروع في كل أنحاء السودان، معاوية نور من الموردة وقد عاش في تلك المنطقة اعني الموردة وقد تميزت بأنها سوق وميناء تجاري صغير، من أقرباء معاوية السيد خلف الله خالد أول وزير دفاع في حكومة وطنية والدرديري محمد عثمان عضو مجلس السيادة والمقدم/ علي حامد محمد عثمان الذي قاد انقلاباً عسكرياً ضد حكم عبود واعدم عام ١٩٥٩م.

اتفق الأدباء على عبقرية معاوية. ولم يكن يعرف على النطاق المحلي فقط ورغم صغر سنه فقد ضربت سمعته الآفاق واعجب به الأستاذ الأديب عباس محمود العقاد وكتب قصيدة رائعة في رثائه كما حضر للسودان وزار قبر الأديب معاوية بمقابر حمد النيل، معاوية كان شجاعاً في نقده وأهله لذلك ثقافته العالية وإلمامه بأكثر من لغة مما أعطته تلك الثقافة الثقة الكاملة للنقد حتى لاعمال كبار الكتاب وهذا لم يأت من فراغ وثقافته العالية أهلته لذلك بلا شك، عاش معاوية فترة الاستعمار ولذلك خشى المستعمرون منه ، وقد كان معاوية كاتب مثقف ومتفتح وربما ثقافته وانتشار اسمه في الخارج كان ذلك سهاماً ضد الاستعمار، عانى معاوية كثيراً من المرض النفسي ولم يكن الطب آنذاك متطوراً وزاد الطين بله عندما حاولوا علاجه بالطب البلدي.

ماذا قالوا عنه وأبدأ بالمرحوم الاستاذ احمد اسماعيل شيلاب الذي قدم كتاب من أدب معاوية للأستاذ السني بانقا (رزق بموهبة عظيمة نماها بالدرس والتحصيل وبالدرس الشاق والاطلاع الواسع. كان اقباله وتحصيله في مجال الأدب العربي لقد عانى معاوية في حياته القصيرة العريضة ما يعاني أمثاله أصحاب المواهب العالية والطموح العظيم، عانى من الاغتراب الفكري والعقلي أكثر مما عانى من الاغتراب والهجرة من الوطن والاهل). إدوارد عطية (كان معاوية من أذكى الطلبة السودانيين بكلية غردون وكان رقيق الجسم وسيم الطلعة وعمره انذاك ثمانية عشر عاماً عندما كان في السنة النهائية، ولقد استرعى انتباهي من أول يوم رأيته فيه أنه

كـان يحفـظ مقطوعـات مـن أدب برنـاد شـو وأنـاتول فـرانس، ووجـدت ان معلوماتـه عميقـة وتـدل علـى إدراك ناقـد ذكـي ويواصـل إدوارد عطيـة (معاويـة كـان صـديقي وتلميذي ولقد كنت على اتصال حميم معه في مدة الثلاث سنوات التي قضاها في الجامعة الامريكية ببيروت حيث حصل على درجة الماجستير في الادب الانجليزي لقد فشل في ان يجد الوظيفة التي يريدها في السودان فحكومة السودان ترى فيه خطراً عليها ورفضت طلبه باعتبار انه لا يتناسب مع صفة التدريس). وكتب الاستاذ السني بانقا (وهب الله معاوية موهبة فائقة فقد درس الادب العربي والادب اليوناني والالماني والفرنسي مترجماً الى اللغة الانجليزية كان ناقداً جريئاً انتقد محمود تيمور في كتابه الحاج شلبي وقصص أخرى وانتقد الجاحظ).

العقاد زار السودان تقديراً لعلمه وأدبه. وتأكيداً لوفاء العقاد له لارتباطه به واعجابه وكتب عنه د/ محمد عبد الرحمن في مجلة الدوحة عام ١٩٧٩م كشف فيها أصالة معاوية الادبية وموهبته الرقيقة واصول النقد الادبي وشفافيته المرهفة للتعرف على مواطن الضعف عند الشعراء المعاصرين ويواصل الاستاذ السني بانقا (كتب معاوية القصة القصيرة وانها تتطلب اسلوباً رقيقاً في الحبكة والابداع ويستعمل معاوية الريشة الرقيقة في رسم شخصياته ويوضح لنا الملامح ومعاوية وطني وثائر واعتبر الانجليز وجود معاوية خطراً عليهم ولذلك حرموه لقمة العيش وخلقوا منه شخصية ثائرة مسلطاً الضوء على ذلك بأن معظم الاداريين الانجليز على اتفاق بأن الشباب المتعلم وفق المناهج الحديثة هو الذي يسبب متاعبهم (فعلاً كانت كتابات معاوية تعبر عن روح الثورة). هاجم معاوية الاستعمار (لا أعرف أمة تشقى بالمرض في مثل ما يشقى أهل السودان ولا أعرف شعباً سرقت منه حيويته ومقدرته على العمل والانتاج مثل الشعب السوداني، الملاريا والدسنتاريا والبلهارسيا وخلافها من الامراض المضعفة للجسم ما زالت تعمل بين الاهالي) أهم هوايات معاوية الشعر والقراءة السريعة ليلم بأكبر قدر من المعلومات في وقت قصير فكأنه أراد أن يسابق الزمن ويختصر الوقت). وكتب القاضي الدرديري محمد عثمان خاله وعضو مجلس السيادة (لقد

سافر معاوية وتلقى تعليماً عالياً عام ١٩٢٨م ونجح في الحصول على البكالوريوس وكذلك كتاباته الرائعة القوية تنشر بالعربية في السياسة الاسبوعية والانجليزية وما أكثر ما هزت مقالاته السلطات البريطانية ولمع اسمه ونال الاعجاب والتقدير من رجال الادب والسياسة وفي مقدمتهم العقاد (هذه شهادة شخصية لها وزنها تؤكد ثورية معاوية) كانت الآمال كبيرة ليقدم خدمات جليلة لهذا البلد لولا أن عاجله الموت في عمر الزهور ولقد ولد عام ١٩٠٩م وفارق الحياة عام ١٩٤١م).

العقاد في رثائه

بكائي عليه من فؤاد مفجع ❖❖ ومقلة ما شوهدت قط باكية

بكائي على ذلك الشباب الذي ذوى ❖❖ واغصانه تختال في الروض نامية

تبينت فيه الخلد يوم رأيته ❖❖ وما بان لي أن المنية آتية

نترحم على روح د/ الطاهر محمد علي البشير فقد بذل جهداً كبيراً ومقدراً عندما كتب عن معاوية دراسات في الادب الحديث واستطاع ان يعثر على ثروة هائلة وقيمة من مقالات معاوية النادرة، لقد جاءت في مقدمة كتابه (لعل من الصعب التفريق بين العبقرية والنبوغ عند الحديث عن معاوية محمد نور فهو من ناحية عبقري يمثل فلتة من فلتات الطبيعة وهبة من هباتها علينا).

لقد استفاد عندما جاء الى مصر ووجد حركة الإحياء الشعري قد بلغت قمتها وهي تمثل روح العودة الى الشعر القديم ويقودها حافظ وشوقي وخليل بطران ولقد عاش معاوية مشكلة ربط الفن بالحياة بمعناه الواسع وفي مقدمته القصيدة والمسرحية والقصة القصيرة والطويلة حتى يكوّن أدباً واسع الرحاب، أدباً انسانياً عالمياً يساهم في الشفافية الانسانية لقد اخلص معاوية في خدمة الادب القومي وكان من المنشئين لجماعة الادب القومي في مصر والتي رأسها د/حسين هيكل وساهم في تكوين جمعية العشرين التي رأسها محمود تيمور وتوفيق الحكيم وباقي أعضاءها من الأدباء الشباب. نماذج من كتاباته بالادب الامريكي لها خصال وخصائص قد

تعجب المواطن من أبرزها لم يظهر علينا من التناقض وعدم الاتساق يقف القارئ أمام ادب يتغنى بالوطن ويشيد بذكره وما يتبع هذه الوطنية من ديمقراطية حقة وحرية واسعة وإذا اخذنا عن خاصية الادب الامريكي ونظره الى المستقبل نجد ان الشعب الامريكي شعب حديث ليس له ما يفتخر به وأما نزعته الروحية فما ذلك الامريكي يحفظ التوازن بين النزعة المادية والنزعة الروحية أجل لأنهم شعب ديمقراطي فإنهم فخورون بمدنيتهم الحديثة وديمقراطيتهم الواسعة وعن الدراما في القرن العشرين كتب إن الدراما العالية لهي صورة للحياة صادقة صورة يقتطعها المؤلف من الحياة ومشاكلها على مقدرته في عرضها يكون نجاحه وان ميزات الدراما التي تنفرد بها هي تصويرها العواطف وعرضها للأفكار في شكل حقيقي ومع هذا اصبح المسرح صورة مصغرة للحياة بما فيها من عواطف وافكار وعن الادب الالماني ليس كالغربي ثروة و الانجليزي خصوبة انتاج وكثرة وحقاً فإنه ليس مطرد السرد دائم التقدم حقاً ان المانيا لم تشتهر بالادب كاشتهارها بالفلسفة والعلم ولكن هل معنى هذا كله ان ليس لالمانيا ادب وفن كلا فلها أدب وأدب ممتاز لها أدب حي وشعر صادق وفن تجاذب اصداؤه في عالم الفكر والادب هناك عباقرة في الفن والادب، والادب الالماني يتمشى جنباً لجنب مع الفلسفة الالمانية في جميع اطوارها واشكالها تؤثر فيه ويؤثر فيها تعطيه ويعطيها بل انه من الصعب في كثير من الاحيان ان تفرز الادب من الفلسفة وتناول الادب المصري الحديث يجب ان تعرف أن هناك حركة ادبية ان لم نقل انها نهضة بالمعنى الصحيح فهناك كتاب هم زعماء ضمن الحركة والنافدون كما ليس الادب هو الشعر فحسب ولا اظن كائناً من كان من يقول ذلك دائماً الشعر فرع من فروع الادب فهنالك الرواية وهنالك الدراما والقصص القصيرة وهناك البحوث الفكرية والادبية ذات الصيغة الاجتماعية والفلسفة النقدية بقيت الرواية فأين هي الرواية من الادب المصري هي بلا شك منه فلا يجهل أحد لما للرواية من شأن وأثر في عالم الادب عموماً بل انها تمثل الادب الغربي الحديث أحسن تمثيل، هاجم

معاوية الكتاب قائلاً يتلخص عملاً كتابياً في عدة مقالات نقدية ووصفية تنشر بالصحف السيارة لم تجمع في كتب فهل هذا عمل جيد؟

مصرع كيلوباترا هذه القطعة التمثيلية التي وصفها شوقي وحاول يجاري شكسبير في درامته الخالدة انطونيو وكيلوباترا فهل نجح أم فشل؟

لكنها محاولة جريئة حقاً التي حاول بها شوقي اقتحام ميدان القصة التمثيلية الشعرية ايضاً وانه وان لم يوفق التوفيق كله ولا اقل من انها محاولة خطيرة وكفي وكان من واجب الادباء ان لا يمروا بحادث ادبي مثل هذا و يوسعوه نقداً وتمحيصاً وبدأت تظهر مشاعر معاوية عندما كتب عن ارنست الكاتب الفرنسي فن التفكير كلمة ساحرة جذابة لمن يجيد هذا الفن ان يفكر تفكير صحيحاً منتجاً فالرغبة لا تخلق ولا العبقرية تصنع وينصح كن بنفسك ويعود ويقول كيف تكون لنفسك وانت لا تخلو لك ساعة تفكر فيها تفكيراً صحيحاً بعيداً عن الجلبة والزحام ويمكن ان تكون في نفسك في خلوة ايضاً لو كانت بجانبك الكلاب تعوي لاحظ معاوية لم يحضر زمننا هذا والزحام قد تضاعف مئات المرات ولا أدري ماذا كان سيفعل.

كتب عن نابليون وقدرته الهائلة فهو حينها نتكلم عن الفن نترك هذا وبدأ كالسيل الجارف في حديث جديد كانت عنده ادراج عقلية وعن الحب في الادب الانجليزي ان موضوع الحب يحتل مكاناً عالياً في دروس الفن والادب ويملأ حيزاً ضخماً في خزانة الادب العالمي بل اننا نغالي إذا قلنا أن اعظم محور تدور عليه الآداب العربية ليس في الشعر فحسب ولكن في الدراما وفي القصة استهوته كلمات كنسي ليندي (غني عن الكوكب ألا ليتني كنت مثلك خالداً ولكن من غير تلك الوحدة أو هذا الظلام الداكن فهو يتمنى الخلود ولكن لا يكون وحيداً الادب الواقعي برز في أواخر القرن التاسع عشر مثل الواقعية في الادب وحمل مشعلها الادباء الفرنسيون وسموها النزعة الطبيعية في الاداب والفنون، وليس غريباً ان تجد مثل هذه منبتاً خصباً في فرنسا والشعب اللاتيني هو أبعد ما يكون عن الخيال الملتهب والصور

الذهنية العالية تحدث معاوية عن افلاطون وجاء من بعده رهط كريم من المفكرين والفلاسفة وكلهم تكلموا عن الفن ونظرية الجمال في بدائع الفن وروائع الادب عن الذوق الادبي (كلب ميت على قارعة الطريق وقد فتح فاه فباتت اسنانه البيضاء تمر به جماعات الناس فما يرون فيه غير القبح والدمامة وما يثيره منظره في نفوسهم غير الاشئمزاز والنفور فإذا بأحدهم يمر فيتوقف أصحابه قائلاً انظروا إلى هذا الكلب فيردون عليه وما عسانا ننظر وكله القبح والدمامة ولكن اليست له اسنان هي الدر النضيد! وفي مرة تعرض لسؤال هل في مصر قصص ولكنها غير مكتوبة نعم في مصر تاريخ وفيها شعر وقصص وتاريخ ملئ بالحوادث ملئ بصوت الانسان ومجده وطموحه اين كل هذا التاريخ مصر الفراعنة مصر العربي ملتقى مدنيات الشرق والغرب اين كل هذا التاريخ؟ هو ضائع من غير تغيير متلاشي من غير تدوين من غير ما ابقته المحاضر الرسمية والمستندات التاريخية ونتساءل أين ذلك العبقري الذي يستوحي الماضي ويقرأ صحف الحاضر، للقصص رسالة عالية وبالقصص القصيرة الحديثة في واقع الأمر سوى ثورة ديمقراطية في عالم الادب ونعرض لمواصفات الكاتب الواقعي المخلص الصحيح العقل يكون من المرشدين وواعظاً دون الوعاظ حينما يتعرض للرزيلة ويرسمها والى الشر ويصوره تصويراً أميناً وذكر انه قرأ قصص بالانجليزي والالماني والغربي ولم يجد المتعة الفنية التي اجدها في قراءة القصص الروسي تدخل عالماً جديداً مترعاً بالفن زاهياً بالآدب والشعور وضروب الاحساس مليئاً بصور الجمال والتعبير حينما نكشف القصص الروسية لأول مرة وعن الادب كتب (لهذا الكاتب مادة غزيرة وافكار مبتكرة ومن ليس له اسلوب واقرأ لهذا الكاتب لاسلوبه فقط انني اعرف اسلوب فلان من غير ان امضاءه هذه الجمل كثيرة الورود على ألسنة الأدباء المتأدبين وعندي ان معنى الاسلوب العميق المعني الذي يجب ان تعنيه الكلمة انما هو خاصية من خواص الذهن وعادات التفكير وكتب ابو العلاء المعري تصور ايها القارئ رجلاً شديد الاحساس قوي العاطفة ذكي الفؤاد جبار النفس رقيق الشعور يجلس في ركن من اركان منزله غير متيسراً فيه اسباب الراحة والضياء هو

بعد ذلك كله رجل ضرير رزئ في بصره وهو ما زال صغيراً فقد أمه وأباه وهو لم يزل في صباه هذا الشخص المزعوم وقد أخذ بين يديه قيثارة يوقع عليها انغاماً صادقة عن شعور عميق بسخف الحياة وجهالات الاحياء ثم انت بعد ذلك ترى المعري الشاعر المتمرد وتفهم الكثير عن شخصيته وسر تشاؤمه ومرارة نفسه التي تصفح عنها اللزوميات اكثر من كل تحليل وشرح فليس المعري كما اري بالفيلسوف ولا بالحكيم كما يسميه البعض وليس من شأن الفلاسفة والحكماء لهذه التأوهات ولا هذه الزفرات ولا هذا الصراخ العالي أو هذا السخط الصارخ انما هو شأن الشعراء الشديدي الاحساس الرقيقي العاطفة وعندي ان أبى العلاء لم يكن يبغض الحياة بل انه كان اكثر الناس حباً لها وهياماً من عامة الناس وهذا الحب كان سبباً في ذمه اياها تحدث عن فتور الادب القصصي وذكر انه يعود الى جهل الناس بهذا الادب وعدم تقدير القارئ العربي له تمام التقدير وهذا ليس محصوراً بين طبقات العامة بل بمن يسمون بأدباء ومتأدبين وفي الشعر الحديث تحدث معاوية عن احمد زكي ابو شادي وان له اكبر عدد من الانصار ويسأل بم اكتسب هذا الجمهور ومن حق القارئ ان يسأل الناقد عن مقاييسه وموازيينه فيكون القارئ على بصيرة والشعر فن جميل هذه قضية مسلم بها فيجب على الشعر ان يطابق قوانين الفنون الرفيعة واهم من هذه الاصول والقوانين الوحدة والانسجام والقالب وخلاف ذلك من خلال المعاني والوان الشعور المشابكة وموسيقى الألوان الخالقة وبريق الصور اللامعة واجراس الموسيقى الداوية أو الهامسة المولولة أو الصاخبة او الساكنة الهادئة مثل قوله في قصيدة القنطرة استرعت انتباهي انني لا افكر كم الوف من الناس قد ادمت قلوبهم الاحزان كل يحمل عبئه الثقيل يمر على هذا الجسر من أوائل الازمان وتيار المرور بدأ في انبهار بين جيئة وذهاب هناك قلوب فتيه وقلوب متعبة مضمحلة والى الابد الى الابد ما دام هذا النهر ينهمر قول برناردشو عن معاوية لم اجد وسامة عقلية تضاهي ما يملكه هذا الفتى إلا عند اوسكار وايلد.

إهتمامات معاوية محمد نور بالأدب الأمريكي:

تعمق معاوية في سيرتهم فرانكلين وبراون الحياة لابسة ثوب الجرتق الظاهر المصطلح والنكتة السائقة نزعة الدراما في القرن العشرين تحسنت عن الثلاث نزعات الواقعية النزعة الشعورية النزعة الرمزية دراما الافكار العميقة وتحدث عن الادب الالماني خواصه وتطوره الادب المصري الحديث نحن نود ادباً بكراً ونود ان يميز الناس بين التفكير البكر وبين تقييم الآراء لا يمكن لبعضها ان تقوم على اساس متين ان هي لم تحاول الرواية والدراما الشاعر رينارد كبلخ شاعر درامي انجليزي سافر معه الى الاقصر كتب عن انه متفائل بالحياة ايماناً لا حد له حينما آب لوطنه عبقريته ليست في الحكم على الاشياء أو الشعر ولكنها في قوة عاطفة وقوة فنه وعنفه تعرض لركود الادب في هذا العصر السبب أن الكتاب وضعوا مؤلفاتهم موقع التجارة وتتدافعوا في الاعلان عنها بمختلف الوسائل كما يعلن التاجر عن بضاعته أرنست آدم كاتب يسمى معاصر يجيد الكتابة الانجليزية الى حد كبير كما ألف بالفرنسية واللاتينية الشيء الكثير بعد ان تكون قد قرأنا احسن الكتب في كل العصور ودرسناها وتفهمنا معانيها تتولد في عقلنا ولا تترك صور تحشد بها الذهن ويستغل فيها وتعرض الادب الواقعي الذي برز في أدباء القرن التاسع عشر عبر فكرة الواقعية في الادب وحمل شعلتها بعض الادباء الفرنسيين ويسموها النزعة الطبيعية للادب والفنون تعرض لفلسفة الفنون والادب والاخلاق والعلم وضرب مثلاً بافلاطون باعتباره اول من حاول ان يضع نظرية الفنون والادب وجاء من بعده رهط من الادباء والمفكرين من افلاطون الى برك الى جوبتار الى دافنشي الى تولستوي الى ريكن الى جروس، القصص في مصر القصة لها رسالة عالية أولاها ادباء القرن عنايتهم وتفننوا في اساليبها وتتضمن جوانبها وحبك فصولها العديدة تعرض للقصص الروسية وجد متعة في القصة الروسية اكثر مما وجده في القصة الانجليزية والالمانية والفرنسية لانها جمعت بين بساطة التعبير وعلوم الزخرفة اللفظية الى جميل الفن الرفيع وصدق اللهجة وسحر الوصف ابو العلاء المعري وصف وصفاً دقيقاً رأي معاوية في ابي العلاء

المعري انه يمكن ان يكون اكثر انساناً داخله تشاؤماً وذلك بما لا يدريه ولا يجزم بصحته أحد وتعرض معاوية نور لفتور الادب القصصي وفلسفة الاقصوصة ويرجع ذلك الى جهل الناس بهذا الادب وعدم تقدير القارئ العربي له تمام التقدير دعوة الى خلق الادب القومي والادب صورة للحياة ومن العيب ان يضيق بحياتنا نتلمس تصورها باقلام غير اقلامهم وافهام غير افهامنا يدعو معاوية الكاتب العربي للتفوق غير منحاز للعرب والافارقة وكتب عن الادب المسرحي الادب المسرحي اكثر التصاقاً وتعبيراً عن حياة الشعوب والامم وأمة ليس لها مسرح قومي غير جديرة ان تتكلم عن الادب القومي ذلك لأن النهضة أول ما تبدأ بالمسرح وتتيح خير براعاتها وابداعاتنا كتب عن الاطفال العباقرة (اطفال في التاريخ عباقرة في الاداب والفلسفة والفنون اولئك هم الاغريق وتلك حقاً معجزتهم كانوا اطفالاً في التاريخ البشري ولكنهم كانوا عباقرة في الفلسفات والفنون عالم الفن غير عالم الفلسفات والعلوم فهو عالم تسوده الحماسة والتشبع وتغمره الذاتية وتغمره عبقريات الافراد والشعوب. الفكاهة الصادقة العميقة القومية من ارفع فنون الادب وعبقرية عالية لا تقل عن اسمى عبقريات الفنون والتعبير وكان للرومان فكاهة ولكنها ليست الفكاهة التي تذكر الى جانب الفكاهة الاغريقية في جو الحرية وكان يعبر عن نفس معذبة عندما كتب الوجود ادخلنا الى نومة هادئة ويعذبنا ذلك الهدوء فلا استطيع انا الان حركة او قيامة بل اظل اتابع حركة الماء الدافق امامي. كتب عن اندرية موروا الكاتب الفرنسي الشهير الذي زار مصر ووصفه بانه عالمي الشهرة كثير التفنن في ضروب الادب والفنون والوان الكتابة ويعد ثالث ثلاثة في كتابة التراجم وكتب عن افريقيا اليس ابعد من الصدق ولا أنأى عن الصواب في أن تسمى قارة الشمس والضياء وتسمى بالقارة المظلمة أو القارة السوداء فأين نرى النور في غير افريقيا، واين نرى الشمس ترسل اشعتها من غير حجب ولا ظلمات في الختام وطني نفخر بإنتمائه على كافة انحاء الحياة في غير افريقيا.

اندريه موروا يزور مصر

يعد اندريه موروا الكاتب الفرنسي الذائع الصيت ثالث ثلاثة هم اقطاب الترجمة الحديثة وكتابه (السير في العصر الحاضر) اولهما لايتون سنزانجي الذي توفي في هذه الأيام الأخيرة وثانيهما اسيل لدنج الذي يزور الان السودان وقد كان في مصر منذ ايام معدوادت وهذا هو اندريه موروا يزور مصر ويلقي محاضرة ادبية في الكلية الفرنسية في الاسكندرية وقد ابتدأ الكتاب عندما يكتبون عن موروا بمناسبة زيارته لمصر ويتحدثون عن أدبه وفنه ومما اذكره في هذا الصدد أن الأستاذ لطفي جمعة كتب عنه كلمة بليغة يكرر فيها ما يقوله بعض النقاد الانجليز من ان موروا رجل سطحي وأنه لا قيمة لكتاباته لا خطر منه مع ان الصحيح أن اندريه موروا من أخص خواص الكتاب وهو ممدوح في الدوائر الادبية الكبرى اكثر مما هو معروف ومذكور بين النقاد السطحيين وقد دعته جامعة كامبردج على اعتبار انه قطب من اقطاب الترجمة الحديثة لكي يلقي محاضرات عن فن التراجم فوضع كتابه المعروف (نواحي الترجمة) وهو أحسن ما كتب في نوعه الى الان، كما دعته جامعة برنستن الامريكية ليلقي بعض محاضرات عن الادب الفرنسي على طلبتها فلبى الدعوة وكان موضع الحفاوة هناك ونحن نعرف الشعب الانجليزي قل ان يجل كاتباً اجنبياً مهما بلغ من المكانة موضع الرعاية والثقة خصوصاً بين جدران الجامعة وموروا لا يمكن ان يقاس الى دمج فلندمج مؤرخ يحاول التأدب والتفنن ولكنه غير فنان غير اديب في صميم نفسه مع ان اندريه موروا يمكن ان يقال عنه انه في طليعة الفنانين المحدثين واسع الاطلاع على الاداب الاوروبية، بصير بروائعها وجلائلها نقاد ماهر حجة في الآداب الانجليزية دع عنك الفرنسية واقف على آخر التيارات الادبية والفنية في اوروبا وامريكا يتحدث عنها حديث عالم دارس وله من ميزة الفكاهة الرفيعة خلاف التصور المحذوف والاطلاع الواسع خير شفيع لدي القراء العاديين فالرجل مغموط الحق في فرنسا بين الدوائر المحافظة بعض الشيء لأنه إسرائيلي الجنس ولانه واسع النظر لا يعرف العصبية الفكرية موضعها في تفكيره فهو ابن

العالم والمدافع عن حسنات الاداب الاجنبية وانما يتطرق سوء الفهم عند هؤلاء النقاد ومنهم الاستاذ لطفي جمعة لأنهم يعتقدون ان الكلمة والمهارة والسهولة في العرض تنافي التقصي والايغال والتعمق مع أن هذه اللمعة والسهولة الظاهرة اخرى ان يمدح من اجلها الكاتب المحقق لا ان يذم فموروا اتصل الى تلك السهولة الكتابية بعيداً عن الفن وسهر الليالي ذلك لأنه يودع موضوعه اكثر مما يمكنه من المستندات والدرس، بيد انه حتى الكتابة يحاول اخفاء كل ذلك فيظهر الكتاب لنا سهل التناول والجمع بين العلم والفن هو نهاية موروا التي يسعى اليها ويبرزها في سقوف البساطة واللين وبعض النقاد ممن ليس عندهم احساس لا يحفلون بالكتاب الا اذا تضخم بالمعرفة وكثرة المستندات والاشارة الى مختلف المصادر وثقل الجمل ولكنه ليس لمثل هؤلاء يحسب الحساب وتكتب الكتب الالمعية عاملاً سهلاً بموروا الفنان الماهر الرقيق الحس الذكي الفؤاد الرهيب النظر الذي يرى في الادب الامريكي والانجليزي جمالاً لا يراه الا فروق المتحدث عن نفسيات الامم والاشخاص حديث شخص موزون واسع العطف، عباس محمود العقاد اسلوبه الفكري من غريب ما اجتمع الاستاذ العقاد وتوفر له امتزاج الملكتين ملكة المنطق الصارم والحجة القوية مع ملكة الذوق المثقف والاحساس العميق وانت تجدها بين الملكية في درجة من التكافل والتعامل حتى تخال احساسه منطقاً متمشياً مع منطق الحياة ومنطقه احساساً لا يمكن ان يكون غيره والسبب في ذلك في اعتقادي يرجع الى ملكة البداهة **(intuition)** وصحة النظرة وسلامة التفكير الأشياء التي يستمد بها العقاد عناصر قوية في التفكير والاحساس معاً فهو لا يعتمد في عبقريته على ناصية خاصة من الحياة أو التفكير أو الشعور أو العاطفة أو الخيال التفتت اليها نفسه وعنيت بها ولكنك تجد كل هذه الاشياء في نسب معادلة متشابهة يصعب عليك فرز الواحدة من الأخرى كما هو الامر في الحياة فهنا ليس ومضة من ومضات التفكير والتفاتات الذهن أو غرام الوعي أو خلسة الاحساس وما ينتظم تحت هذه المعاني من الشذوذ في الطبع والتفكير كما هو الأمر مع بعض الكتاب والشعراء امثال (بودلير) و(رومو) و(برناردشو) و(اوسكار وايلد) و

(نيتشه) وتولستوي من رجالات التفكير ممن تفردوا بناصية والتفتوا اليها وراوا الاشياء من خلالها وانما هنا اتزان وشمول وبداهة وليس هنا غرابة او شذوذ وكان العقاد ليأتي الكلام في موضوع من الموضوعات فيخيل اليك ان ليس الى معرفة الاشياء والاغراض او القول عنها خلاف هذا القول والكلام فهو لما يقول الانجليز في جملهم البليغة (يري الحياة ويراها في اتزان وشمول وهو من هذه الناحية يمثل العبقرية الصحيحة التي لا لون فيها ولا خبل ولا جنون والقارئ مع أولئك الكتاب اما ان يرتاح اليهم وتقبل عليهم ويأخذ كل ما يقولونه كانه تنزيل من عزيز رحيم واما ان يرفضهم قلباً وقالباً ويستحسنهم وليس هذا الطراز العقاد دائماً هنا رجل خلق للحياة اكتملت فيه ادواتها والذي يرفض العقاد دائماً يرفض الفطرة السليمة والاحساس الهادئ والعقاد ينظر الى شئون الفكر والفن كما ينظر للحياة نظرة فيها من السعة والشمول ما في الحياة من سعة وشمول ويقبل الافكار ومنشئات الاداب والفنون على هذه الشريعة فهو ليس بالثائر ولو انه قوي في رفضه يصل كل الاشياء ويدخلها حسه لان لما مكانها في الحياة وطريقتها فيقدر الافكار وضروب التفكير والفنون من حيث الثراء والفقر والضعف والقوة والرخص والغناء والاسفاف والسمو والصحة والمرض ولا ينكر هذه ولا تلك وانما يقيس كلاً بميزاتها ويضعها في عالم الفن والفكر حيث يحب ان توضع في مكانها من الحياة وتقدير الحياة وتقدير الاحياء الشاعرين ان الذي يعجب له الانسان في كتابه الاستاذ العقاد انه يتناول الموضوع في الادب أو الفن أو الفلسفة فيأتي الكلام المحكم الرصين الواقع الصدق البعيد الغور في صدق مما يخيل للانسان ان هذا الموضوع مثلاً هو شغل الكاتب طيلة حياته وما هو كذلك وهو لا يلبث ان يتناول الفكرة الشائعة المقبولة من عامة القراء ولدي الخاصة ممن يعنون بذلك الفرع سواء في الاجتماع أو الفلسفة أو الادب او الفن الا وتنهدم تحت اصابعه القوية وتخمد تحت ناظره الذي لا يغشه بريق ولا هو كاتب الهدم يبني الفكرة ويثبت الرأي القويم في رصانة حتى يتحسب ان ليس للعقاد فضل في ذلك وانما هذا هو النظر الفطري ولكن ما اقل من وفق الى الفطرة المستقيمة

خواطر وذكريات محزونة الوقت والكون ساج ناعم فلا نسمع نامه ولا نرى حركة ولا تحس سوى الركود والاغفاء والسكون الشامل والظلام الصافي والهداة الناعسة ولقد تحس الحمية بعد الحين حركة ضئيلة او تسمع صوتاً خافضاً فيزداد احساسك بذلك الصمت وتقديرك لذلك السكون وتستولى على نفسك تلك الهداة ويغمرك ذلك الصفاء فتروح في عالم الاحلام والذكريات وتنزلق الى عوالم الفكر والعواطف الشجيات وقد قيل الى ان الحياة قد وقفت فجأة وان الوجود قد اخلد الى نومه هادئة ويعذبني ذلك السجو والسهوم فلا استطيع انا الآخر حركة او قياماً بل اظل المح حركة الماء الدافق امامي حيناً آخر وانا جالس على احد المقاعد على ضفاف النيل الازرق في مدينة الخرطوم والنيل ينساب في مشيته هادئاً كأنه صفحة المرآة المجلوة وعلى يميني انظر بضع سفن تجارية وامامي الخرطوم بحري وجزيرة توتي وعلى شمالي مدينة أم درمان يخيم عليها الصمت ويكسوها ثوباً رقيقاً ويخيل الى ان ذلك الشجر الحاني بعضه على بعض والذي يظلل شارع الشاطئ وذلك النهر الهادئ بما فيه من قنطرة وامامه من مدينة وجزيرة وما فوقه من سماء تحسها من شدة زرقتها وانكفائها على حدود النيل انّ السماء ليل وان النيل سماء وان الشكل صورة يمكن اخذها ووضعها في اطار التفرج عليها واستلهام الوحي منها وخطرت سفينة من تلك السفن المرصوصة فحسبت لأول وهلة انها لا تشك طامة او ذلك الجمال غايته لذلك الهدوء الصامت متلفة لتلك الصورة الزائفة ولكنها لم تصنع شيئاً من ذلك بل اعطت الصورة لوناً وزادتها حياة وبشرا وما يخيل للرائي انها سفينة تعبر نهراً وانما كأنها قلم يرسم خطاً على صفحة او كأنها شهاب يشق عنان السماء في انثناء وسرعة عجباً لمنظر النيل ليس بعده جمال ولا جلال وما يفوقه منظر مما رأيت سحراً وروعة وما تستحين الخواطر ولا يصفو الذهن ولا يتألف الفكر ولا تكثر الذكريات وتغمر النفس فيزداد حنيناً مثل ما تفيق النفس في حضرة الليل ويحن القلب ويحلو في كل ذلك الشجون حنيناً ظللت الساعات واياماً مأخوذاً بسحر ذلك المنظر في شبه صلاة روحية وخشوع فكري وحالة تغمر النفس وتخلع على الحياة شعر وتحيطها بالاسرار

والاطياف والارواح بالاسرار النفوس وخفاياها وبالقدرة منظر كمنظر النيل على بعث روافده حرز في جميع تياراتها من حنين الى المجهول وشجو الى الماضي وتطلع الى المستقبل المنظور لم يظهر لي النيل في تلك الليلة بالشيء المائي وانما هو بالتماسك اشبه والى الزئبق اقرب فيما تشتهد شيئاً من العنف او من الانزلاق الظاهري وانما تشاهد العمق البعيد متشحاً بثوب الهدوء والسطحية البارزة وتشاهد العدو السريع و تلمح شيئاً من اثارة ومظاهرة ولقد نسمع الوسوسة بين كل حين وآخر بين طيات المياه كأنما اشتدت بها الوحشة وكثر عليها الصمت والسكون ولكن عاق والعالم حرمه عندها تنطبق في صوت خافت وتصمت بدلاً من ان تصفح وثم يعود الماء الى سكونه ووحشته الجميلة والعين لا تعبأ تنظر اليها ولا تتعب من ذلك ولا تحس اعياءً ولا فتورا وقد يقع مجراً وما شابه في النهر وسط ذلك السكون فيكون الصوت (النشي) الذي يحدثه الحجر موسيقية لا تعثر عليها عند اعظم ارباب الموسيقى والفنون واسأل احياناً من اين يا ترى تأتي هذه المأساة والى أين هي ذاهبة هي تفتر من هذه الحركة الدائمة والدائرة التي تنتهي لتبتدئ الى اين ايها المياه والى اين الا نفترس الا تسخطين الا تشابك عوامل الضجر والسأم والمحها تسخر لي وتشفق على وعلى شفتيها ابتسام وفي نفسها مرارة وهي تهمس خوفاً من ان تسمع هكذا هكذا لقد نفذ القضاء اليس من الحماقة والضيق ولا محيد عنه ونحن ابناء الحياة ولا شيء هنالك غيرها اليس من الخير ان تحملها ونكون عند ظنها ولا نعتريها بل نحياها في اناه ورضاء وابتسام وداع مرير ذلك احجي واحكم لو كنتم تعلمون وكذلك تذهب المياه معززة حديثها بلا بأس والاصطخاب ونسيانها للسفور بالنفس وهزئها شعور الملال والاعياء والماء في حرية ووسوسته الدائمة تتخطى المدن والبلدان راكضاً وداعاً مثل فلسفة الحياة ويجب ان يكون احتمالها والتغلب على شعور الملال ودواعي الاعياء والسخط الفكاهة في الادب اما الادب الفرنسي فمشهور بفكاهته معروف بدعابته مشهود له بالتميز في هذا الباب غير مشكور ولا محجور على رجاله الافذاذ صحة الفكاهة ودلالاتها على صحة الادراك ونحن لا نشك ذاكرون في هذا الباب (رايليه)

وذاكرون كتابه الخالد (جارجتوا وبانتجوريل) وذكرون ان رابليه في هذا الباب استاذ نسوفيتا و (ستريني) من كتاب الانجليز (ورايليه) عملاق من عمالقة الادب الفكه ذو فن قوي تام الصحة ولو انه من النوع الشارد الخيال الجامح التصور غير ان وراء هذا الجموح فلسفة وفناً وقصداً صحيحاً ونقداً قويماً وعبر رابليه من الكتاب الفرنسيين فولتير ذلك الساحر الباسم الدائم بالسحر والابتسام الهادئ في فكاهته من النظم والتقاليد المتشكك وفولتير لا يعرض عليك الصورة ويتركك لشأنك تقرأ فيها ما تريد ولكنه يتوسطها ويشير الى نفسه بين كل حين وآخر وقد كان هذا المتشكك فيلسوفاً وهو يهزأ من الفلاسفة وفكاهته فولتير مريرة جادة مما يتنافى روح الفكاهة وعنصرها احياناً سريعة الحركة مشرقة الديباجة ناصعة الاسلوب ولقد كانت السوط الذي الهب به ظهر عصره وزمانه غير انه سخره ليس من ذلك اللون المرح الذي تستشفه وانت تقرأ (ارمتفانيس) وهو سحر في جملته تلمس فيه جانب العقل وعمل التفكير ويصيبك منه مكان الاحساس والعاطفة ولا يذهب الى روحك في مثل نشوة الخمر بل يذهب اليها في مرارة وثقل ولعل تلك ملحوظة في فن موليير، فموليير ينظر الى آخر حدود الفكاهة ناقد عن فهم عارف للطبائع والنفوس عارض كل ذلك في استاذية ، و التمثيلية امثال (الطبيب رغم انفه) و (تارتوف) دليل على ذلك غير ان قساوة نقده ومرارة درسه الذي يود ايذاعه عقل القارئ حري ان يحقر من شخصياته ويقلل من شأنهم ويجعلهم منبوذين مكروهين وتجوز هذه الخصلة احياناً على عناصر الضحك في القصة وتؤدي بالجانب الفكه منها ولقد سلم من هذا العيب من الكتاب الفرنسيين واناتول فرانس الضاحك ابداً فكاهة ساخرة في مرح ضاحكة ملء فيها غير عابئة بالنقد وشدائد الامور غير معتقدة بخطورة الحياة وحدها لا تتحرج ان تتناول اقدس الاشياء في عبث وضحك وان نزكيها دعابة ومسحاً ولهذا السبب تجد فكاهته اسهل صياغاً واظرف واخف من فكاهة فولتير العنيفة الحادة عالم القيم والنظريات في الفلسفات والفنون عالم الفن غير عالم الفلسفات والعلوم فهو عالم تسوده الحماسة والتشبع وتغمره الذاتية وتغمره عبقريات الافراد

والشعوب ولذلك فهو اصعب تحديداً واعسر منافسة ودرساً من عالم العلوم والفلسفة اذ مرد الفنون عموماً الى الذوق والعاطفة والتاريخ النفسي الى جانب الفكر والمنطق والبداهة والاتفاق على قواعد معينة واصول ثابتة لا تتغير تغير الزمان والمكان شيء لا يسهل امره او يهون بقية غير انه بالرغم من كل هذه الحقائق فالعالم الفني يتفق او يكاد يتفق على ان هنالك اشياء وتحفاً هي ارفع شأناً وأكثر قيمة ووزناً من اشياء وتجف اخرى ونود الان ان نبحث في هذه التحف والقطع الفنية المتفق على جودتها وعلوها في عالم الفن وان نسلط عليها مذهب الشك الفلسفي فنرى قيمتها من السداد والثبات فنقول الكل يتفق أو على الاقل رجالات الفنون من قراء وكتاب على ان قصص دستيوفسكي مثلاً اعلى بكثير من قصص (إدجار الان بو) وبقية الروايات البوليسية وما اليها والكل يتفق او على الاقل عشاق الموسيقى ومن يهتمون بأمرها ان موسيقى بتهوفن مثلاً هي ارفع واكثر فناً وقيمة من الجاز باند وما اليه والكل يتفق او على الاقل المثقفون وارباب الذوق الفني ان صورة الموناليزا الشهيرة لليروناردو دانفنشي هي من آيات عالية وتحففة من براعات التصور العالمي.

مأساة

بعد أن قطع القطار صحراء العتمور العاتية، وما فيها من جبال ملتفة ورمال بيضاء منبسطة وأحجار سوداء متناثرة في لج ذلك الخضم الذي لا تقف منه العين على شيء من صور الحياة النابضة سار ينساب في أرض لا تحوجه إلى مثل ذلك الكفاح والنضال القوي بل راح راكضاً في اتساق وسرعة على ضفاف وادي النيل، وكنت من قبل ذلك أنظر إلى هذه الصحراء وأمعن النظر إليها، وكلما أمعنت النظر وجاشت بي الخواطر والذكر، خيل إلي أن تاريخاً مع هذه الصحراء، لما أشعر به من القرابة والعطف والإيناس لهذه الحجارة التي تترامى بالقرب من سير القطار. وربما جنح بي الفكر فخيل إلى أنني قد رأيت كل هذا وعرفته قبل حياتي الراهنة، وإلا فكيف أفسر هذا العطف وهذه الإلفة وهذه القرابة الروحية التي هي أشد من كل عطف وقرابة وإيناس ! والقطار سائر إلى أن اقترب من مدينة (شندي) بعد أن مر بمدن عدة، والمسافر لا يرى غير السهول الواسعة حيناً، والأشجار المتناثرة الكثيفة حيناً آخر؛ وقد يرى بعض الأحيان أرضاً خضراء ، ولا يرى في غيرها سوى الرمال والحصي. غير أن النظر إلى شجرة من هذا الشجر الذي نجده بين كل حين وآخر، والكفّ متدلي الأغصان في أسى واكتئاب، وصبر ووحشة. تخالطها بشاشة أو يمازجها فرح، لحري بأن يذهب بالإنسان أن ليس لمثل هذه البقاع أن تكون مسكونة بالحياة كما عرفها وذاقها بين المدن الصاخبة، وأنفاس الإنسان الناضبة ووثبة الحياة الدافئة، كل هذا وبعض أصحابنا المسافرين المترفين في شغل عن الصحراء والسهول والأشجار وحديثها: هذا يدخن سيجارته، وغيره يقرأ في كتاب، وثالث نائم، وغيره داع حالم ! وما أن يقف القطار عند قرية صغيرة يحسبها الانسان خلاء وقفراً قبل أن يطلع عليه بعض أهلها من شبان وشيب معهم أشياء من الطعام يرغبون في بيعها الى المسافرين، أو أنواع من الخزف والآنية.

ووقف بنا القطار في هدوء طارئ في محطة من المحطات بعد أن اجتاز مدينة (شندي) وكنت تسمع المسافرين ينادون بعضهم بعضاً. (أقفل الشباك) ، (أقفل الباب)

بين قصف الرياح وأصوات المسافرين – ذلك لأن الرياح بدأت تقصف بشدة وتذر التراب في العيون والعاصفة تولول كالشارد المجنون والشمس تختفي بين حين وآخر لأن في السماء غمام يجتمع ويقلع حيناً ثم يتلاشى حيناً آخر فتظهر الشمس سافرة. وكأن النيل، الذي وقفنا بالقرب منه يرسل أصواتاً هائجة من أوازيه المصطفقة وأمواجه الثائرة. وهكذا وقف القطار بين ولولة العاصفة، وهدير الموج الصاخب ودكنة السماء وحلوكة الجو. ! . وبعد قليل رأينا بعضاً من النساء، وبعض الصبية يهرولون نحو القطار غير عابئين بالرياح أو حلوكة الأنواء، ولقد كان مع هؤلاء النساء أوان من الخزف وهن في أسمالهن البالية أبعد شيء من الزخرف ودواعيه وفيهن واحدة من جاوزت الثمانين أو كادت تعرض وجهاً قد رسمت عليه الشيخوخة خيوطها الساخرة وتعجب ما لهذه وعراك الحياة والتكالب على العيش في مثل ذلك اليوم العبوس ولكنك لا تجد جواباً على سؤالك سوى (إنها الحياة !). فقد جاءت تسابق الفتيان هازئة بشيخوختها غير معترفة بكبرها، أو ربما كان الأصح أن تقول العيش ودواعيه يضحك ساخراً أو معجباً من شخص هذه المرأة العجوز ولبثت تعرض حاجياتها على المسافرين من خلال الشبابيك من غير أن تنبس بحرف واحد وإنما بإشارة خفيفة من الرأس وامتداد من اليد إلى جانب شبابيك القطار' وهي في إيماءاتها ووقفتها أنطق من كل كلام، وأدل من كل صراخ أو نداء، وكانت تمشي في خطاها المتثاقلة من أول القطار إلى آخره ولا من مشتر أو مجيب حتى بلغ منها العياء. وقد شهدها أحد ركاب الدرجة الأولى من الانجليز فقال لها بالانجليزية ما معناة (خير لك أيتها العجوز أن تذهبي إلى بيتك الآن !) ولكنها ظلت واقفة ناظرة الى هذا الرجل من غير أن تفهم قصده، ولعلها ظنت أنه قد سألها عن الآنية التي تحملها أو قال شيئاً يقرب من ذلك. فعادت تعرض آنيتها في مكان ظاهر أمام الرجل وتطيل النظر مرفوعة الرأس في شيء من الإستفهام والطلب!.

وكانت هناك امرأة تجلس على بعد ثلاثة أمتار من القطار ناظرة إلى الصبية الذين ينادون بملء أفواههم بما عندهم من طعام وشراب لجماعة المسافرين، وكانت

تشير على أحد الصبية بين كل حين وآخر أن يجري هنا وهناك من واجهات القطار منادياً: (شاي) (شا .. آ..أي) ... (بيـ ... ض ومستوي) وهم يمدون الياء وفي بيض مداً طويلاً تكاد تخرج معها حناجرهم من شدة الصياح ... وكل ذلك الصراخ كان من غير جدوى إذا استثنينا مسافراً واحداً أخذ من احدهم بيضاً بقرش صاغ، ولشد ما كانت ترمقه عيون الآخرين حاسدة حاقدة. أما ذلك الطفل الصغير فقد ظل في ندائه باجتهاد وصبر من غير أن يلاقي مجيباً ! وكان صرخاته تشتد كل ما مر الزمن ولم يبع شيئاً من (شايه) الذي يحمله في آنية تعافها النفس وأكواب يصعب على الانسان الشرب منها. ولقد كان يلبس هذا الفتى الصغير جلباباً أبيض قد استحال من كثرة الاتساخ وتراكم التراب قاتماً اسود، يمشي حافي القدمين، عاري الرأس، لم يتجاوز عمره الحادي عشر عاماً براق العينين، رقيق الشفاه في أسى واكتئاب، تطل عليك من نظرته لوعة وشجو دفين. وقد ارتسمت على جبهته وحول شفتيه غضون جاءت قبل أوانها مبكرة لشدة وقوفه في الشمس وحياة المتاعب والشظف التي يحياها، كل هذا قد ترى في وثبته وحركته شيئاً من السهوم الواجم، والخفة المستحبة. لا تلبث كثيراً إلا وتنقلب إلى انقباض ولوعة، ولعل خفة حركة القفز هي عندما ينسى نفسه وما حواليه، ونظرة الأسى والاكتئاب هو عندما يذكر إخفاقه وعيشه ! وإنني لن أنسى ذلك الصوت الذي يردد لفظة (شاي) والناس عنه في شغل ، ولعله هو الآخر في شغل عما يحمل من آنية وشاي، بل كان السهوم في أوجه المسافرين وكأنما تنطلق شفاهة في حركة ميكانيكية كل حين يلفظه (شا..آ..ي) وهو يمد فتحة (الشين) مداً تكاد تحسب أن روح هذا المسكين تكاد تزهق مع ندائه الحار وكلما لم يسمع رداً لصداه ولا مجيباً لندائه ازداد عدوه من أول القطار إلى آخره ومن آخره إلى أوله؛ كأنما هو الحيوان الخائف الهارب ..! وابتدأ المطر رذاذاً في هذا الوقت والقطار واقف، وصوت الرياح وهدير الأمواج يبعث الانسان على شيء من الخوف والجلال لكل حين وآخر منادياً (ش ااا ي).

وأحس الفتى برذاذ المطر يهطل على آنية الشاي وهو لم يبع منها شيئاً، فازداد حزنه وكثرت همومه؟ . ولقد كان المسافرون في حاجة إلى الشاي، غير أن ما صدهم

عنه ، رداءة آنيته واتساخ اكوابه. وهيئة حامله، التي لا تدل على النظافة أو شيء من ذلك، ولقد كانت تناديه تلك المرأة بين حين وآخر مشيرة عليه بأن يسرع خطاه وان يذهب الى الناحية الأخرى من القطار لعله بائع شيئاً لأحد المسافرين، وأخيراً بلغ به التعب واللغوب مبلغهما وبح صوته، غير انه واظب على ندائه وكأنما القطار بانتظاره الطويل قد زاد من ألم هؤلاء الناس وضاعف أحزانهم وشقوتهم – وقد برد الشاي وصار كالماء البارد وهو لم يزل ينادي ! – ولقد استحال وجه الفتى من تراكم التراب وفعل المطر وإجهاد الصوت ما أترك لك تخليه من غير أن أصفه. ولما تعب ذهب إلى تلك المرأة وأراد القعود إلى جانبها فما كان منها إلا أن دفعته إلى ناحية القطار، ولكنه وقد خارت قواه لم يستطع الصراخ فصار ينادي في شيء من الهمود والأعياء وفقدان الصوت (شآي شآي .. شآي !) حتى كأنه قد ابتلعته الرياح فيما ابتلعت فلم يسمع له صدى! ... صفر القطار معلناً سفرته رغم أن رذاذ المطر ما زال يتساقط ، والرياح ما زالت تعصف بين كل حين وآخر ... فذهب هؤلاء الباعة مبتعدين عن القطار قليلاً! ... وسمعت هذه المحادثة والقطار يتحرك بين تلك المرأة وذلك الفتى ..

قالت المرأة؟

- (ها قد خسر الشاي ، من ذا الذي قال لك ضع القرشين في مثل هذا الشاي ومن سيشربه ستنام الليلة من غير عشاء ...

يا قاسي الرأس ألم تر الرياح تهب حينها عملته، أليس لك عينان؟) وظلت توبخه على هذه الوتيرة وهو ساكت، وقد بلغ بها الحنق والغضب غايتهما، فدفعته بشدة ارتج لها جسم الفتى وأخذت منه آنية الشاي، وبعدها أخذ الطفل يبكي وينتهد تنهداً حاراً، فاقتربت منه في عطف وأسى وأخذت رأسه بين يديها وخانتها قواها، فانحدرت دمعة كبيرة من مآقيها، ولما رآها الفتى على هذه الحالة، استرد شيئاً من شجاعته وقال لها: (ولكنت أنت يا أماه التي قلت لي اعمل هذا الشاي علنا نربح منه قرشاً، وقد عملته كما أمرتني!) فأجابته بعد أن نظرت الى عينيه الدامعتين، وشكله المبتئس قائلة في صمت هادئ تخالطه مرارة دفينة، وهم لاعج: (نعم! أنا

القلت ليك ... أنا ... أنا السبب ... أسكت يا يا ولدي... الله في !!) وبعد هذا المقطع لم أسمع شيئاً بل رأيتهما الأم والابن يتجهان نحو قريتهما في خطى متثاقلة وسكون كئيب، على حين كان المطر يزداد، والأمواج تصخب والرياح تلولول هامسة، وهاهما يختفيان في تلك الدكنة كنقطتين سوداوين وسط ذلك الظلام الدامس! ... وابتعد القطار رويداً رويداً، وصورة ذلك المشهد لا تفارق ناظري ونغم ذلك الجرح الصارخ المملوء لوعة وأسى (شا آ، آي) ما زال يرن في آذاني ... وإذا بصرخ بعض أفندية في القطار يقطع على تفكيري وذاكري فهو ينادي الجرسون: (واحد بيره، بس خلي الثلج يكون كثير شويه، فاهم) قام البعض يلبس ملابسه ويصلح من هندامه استعداداً لطعام العشاء، وقال أحدهم بعد أن لبس هندامه وهو يربط ربطة الرقبة (يا الله .. اي يا ولاه .. أنت ليه ما جبتش الكرافتات الحرير، إبق ذكرني علشان ما نأخذ دستة من دفس براين)؟ ... وأتى من بعد ذلك خادم (الرستوران) مشيراً الى أن طعام العشاء قد آن فقام البعض في مشية متثاقلة كلها الخيلاء والكبرياء، رأينا هنالك نفراً من الموظفين الانجليز وهم جالسون في غرفة الطعام يتكلمون بسرعة ويتبادلون النكات المضحكة ويدخنون وكنت تسمع الأفندية من ركاب الدرجة الأولى والثانية على مائدة الطعام الأنيقة ينادون بين كل حين وآخر (واحد توست) بينما القطار في عدوه لا يلوي على شيء.

جامعة بيروت

معاوية محمد نور

الفكاهة في الأدب

[1]

الفكاهة الصادقة، العميقة الغور، فن من أرفع فنون الآداب، عبقرية عالية لا تقل عن اسمى عبقريات الفنون والتعبير، وهي عندما تستدق وتعلو تؤدي غاية الفن المكتوب، كأحسن ما يؤدي كلام. وتبلغ رسالة في أبين بلاغ ذلك لأنها تسلك مدخلاً لطيفاً إلى باحات النفوس غير أن تثير ومضة، أو تهيج نفساً، او تهز فكراً وتلجئه الى التفطن وإدمان الرؤية، وامعان النظر، وإنما هي تذهب تواً الى اغلاف القلوب، ومكان الاحساس والفكر الشاعر من الانسان في مثل ومضات الوحي والالهام – وانها لتجعل الفتى الضخم عن حالات النفوس وأطوارها، وتقدير الاحياء وتشبيه أوضاع الحياة، وتصوير الأغراض المختلفة كأحسن وأقصر وأبلغ ما يكون كلام. والكاتب قد يحتاج الى الحجج المستفيضة، والاسهاب الممل، والاتيان بالشواهد والأمثلة لتمثيل حالة أو تقريب صورة، ثم هو لا يبلغ غرضه الفني مثل ما يبلغه في الفكاهة والابتسام!.

وأريد أن أوضح ما يعني بالفكاهة من الأدب وما يسمى بالأدب الفكه، وما إلى هذا من المعاني والأغراض، لأنني قد رأيت أن قد كثر ذكر الأدب الفكه على ألسنة المتأدبين، وبين أصحاب الأقلام، وهم لا يستقيم لهم فيها فهم، ولا يقفون فيها على أصول أو يقولون من الصحة في القول أو يشابهون السداد في الرأي وقد يخلطون بين الرفيع منها وبين الرخيص، وبين الصادق الفكاهة، وبين ما هو من الفكاهة بريء!.

ما هو الشيء الفكه، إذا ذهبت تعتبره في ذاته على وجه الاطلاق؟ وما هي دواعي الضحك والابتسام (إننا لنضحك لذة من ازدراء الآخرين، لأننا نشعر بالتفوق

عليهم) هكذا يقول أفلاطون. ويقول أرسطو: (لا يكون ضحكنا إلا من شيء آخر ، وقد نضحك من أنفسنا ولكن ذلك يكون بعد فشل الانتصار).

وهنالك نظريات عدة، نذكر طرفاً منها للذي لم يسعده الحظ بدراسة علم النفس فهنالك نظرية (الهزء والقلق) ومضمون هذه النظرية أننا نضحك من منظر القلق يكون فيه شخص أو أشخاص من غير أن يصابوا بأذى أو رزء أليم، فإذا أخذت الريح قبعة أحدنا مثلاً ضحكنا من اضطرابه وقلقه وعدوه وراءها ولكن إذا صدمته أتوموبيل مثلاً، لم نضحك أو على الأقل هذا هو المفروض في الإنسان العاقل الشاعر. فأنت قد يصعب عليك أحياناً أن تزجر طفلاً عن الضحك من رجل أعمى أو آخر مجنون – الأشياء التي لا تضحك إنساناً تام الاتزام، تام العقل والشعور – بل هي على نقيض ذلك تحزنه وتبعثه على العطف والأسى. ويقول ويليام هازلت (إننا نضحك للتناقض! فالقزم مثلاً الى العملاق شخصية ضئيلة جداً، وسكان الريف يضحكون من سكان المدن لأنهم لا يعرفونهم. وعدم العطف أيضاً سبب آخر للضحك. وإنه ليصعب عليك أن تمنع طفلاً من أن يضحك من رجل عنده حسبه في لسانه أو مصاب بعاهة أخرى كما إننا نضحك من الافكار والأشياء التي لا نصدقها ولا نؤمن أنها ممكنة. ولقد نقول أحياناً عن الفكرة التي لا نؤمن بها أنها (فكرة مضحكة) ، وقد نضحك لارضاء كبريائنا.

أو للهزء على من بجوارنا، ولكي نخفي حسداً أو جهلاً لنا. واننا لنضحك على الأغبياء والادعياء والبسطاء، كما نضحك من النفاق والتصنع الخ! ويقر (هوبز) في كتابه (الطبيعة البشرية) : (ما عاطفة الضحك غير مجد طارئ نحسه في نفوسنا عندما نقارن أنفسنا بسخافات الآخرين، أو حين نقارن واقعة الحال بحالة لنا سابقة !) ويظن امانويل كانط (أن السبب في الضحك هو تبخر الأنظار ولذته الى لا شيء) ونظرية التناقض يذهب إليها أفلاطون كما يذهب إليها ارسطو، كما يقررها في العصر الأخير هربرت سبنسر، ويزيد عليها هازات حين يقول: (إن الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك ويبكي لأنه هو الحيوان الوحيد الذي يدرك الفرق بين

حاضر الأشياء وما يمكن أن تكون عليه !) (وبرجسون) الفرنسي يذهب إلى أبعد من كل هذا حين يقرر (ان الفكاهة خاصة انسانية، للانسان من الانسان، وقد يضحك الانسان من حيوان آخر، ولكن ليس من ذلك إلا لأنه قد اكتشف عنصراً انسانياً في ذلك الحيوان المزعوم !).

وغير هؤلاء من النظريات الشيء الوفير، فليراجعها في مكانها من يعنيه البحث، ولكن أغلبها لا تختلف في جوهرها عما ذكرنا من النظريات والآراء مع شيء من التعديل والتحريف، والزيادة أو النقصان! يقول (مرديث) – الروائي الانجليزي- في مقاله عن الروح الهزلي (أن من أول دلائل الثقافة في أمة من الأمم إنما هو انتعاش الروح الفكه في أبناء تلك الأمة، والأدب المضحك الذي لا يخاطب الحواس، وانما يثير التفكير، ويبعث على الابتسام الشاعر) وقد صدق ميرديث فان روح الفكاهة القويم الذي يخاطب الفكر والاحساس لهو دليل على وفرة احساس تلك الأمة وشاعريتها المفكرة، فليست الفكاهة التي تخاطب الحواس، والتي تكون ضرباً من ضروب الاستمتاع الجسدي بالأدب الرفيع. وانما أحرى بها أن تشابه التبخيس الذي يثير عاصفة من الضحك الآلي الذي ليس له من نشوة الفرح الفعلي وسرور الاستبانة الشعوري اي نصيب، فإن محك الفكاهة الرفيعة هو أن تخاطب الحواس، سعودة لفظية ، وكلاماً بارداً أو نكتة مبتذلة!...).

وقد يحسب البعض أن الروح الفكه هو روح لا يمكن أن يعلو على الروح الشعري أو الروح الجدي، وليس أخطأ من هذا الرأي، وليس أبعد عن محجة الصواب أن يظن أن الفكاهة، تقف في موقف هو ضد الأسى والجد الصارم، أو روح المأساة والشعر، فليس من مأساة مجيدة إلا وفيها عنصر فكه لمن تجاوبت في نفسه ضروب الإحساس ورحابة الحياة وألوانها، كما إن كثيراً من الفكاهة الرفيعة تمتزج بالمأساة البليغة كما نرى في قصة (الدوت كيشوت) (لسرفانتس) وآلهة الشعر العالي ربما تلبس ثوب الفكاهة ولا تجد في ذلك ضيراً، بل ربما تاهت وزهت في ثوبها العابث! وأين تكون الفكاهة الساخرة العابثة ان لم تكن في الشعر المجيد كما

أرنا (هايته) (وارستفاتس) وأضرابهما. ونحن نعرف جيداً ان البكاء ربما انقلب ضحكاً، أو الضحك بكاء وليس هناك هذا الفرق الذي يخيل للقارئ بين البكاء والابتسام، وقد يذهب البعض إلى أن أصل الفرح من عناصر الحزن، وهذا القول أشبه بالصواب وبه أشكل، فان الضحك والبكاء لا يكونان الا من فرط الاحساس. وكبر الفكرة المضادة، ولا يكون أحدهما الا لأن هناك مقارنة واعية أو غير واعية بين هذه الحالة وتلك، والانسان قد يبكي من غير دموع أو يضحك من غير صوت. ولذلك فان أعلى أنواع الفكاهة ما يظهر شعاع العقل الشاعر من شفوف الابتسام وجذل الروح، وفرحة النفس.

وقد يظن البعض أن الروح الفكه لا يمكن ان يوجد الا في من كان مرحاً بطبعه، ظريفاً في حياته اليومية ومعاملاته مع الناس وإن أبعد الناس من الفكاهة وروحها انما هم رجال الجد والاستقامة والصرامة ! .. وهذا ولا شك رأي خاطئ سطحي، لأن مرد الفكاهة، كما قلت آنفاً، الى الذهن والشعور، فهي صيغة ذهنية دقيقة، وخاصة من خواص النفس الكبيرة، يظهر في كتاباته ظريفاً فكهاً، غير انه كان الرجل الجاد الصارم. (ودستوفسكي) ليس بالمزاح وفي قصصه فكاهة مجيدة كما أن (لهاردي) فكاهة ساخرة، وهو المتشائم المرير النفس. وليس شارل شابلن الذي يضحك الناس بضروب فكاهاته، بالرجل المنبسط المزاج في حياته اليومية !...

ويريد صاحبا (ريموند) أن يقول ان الانجليز أرقى الأمم فكاهة، وأعرفهم بها، وأنتجهم فيها وأشدهم استيلاء عليها، ويروح يبرهن على وجود الفكاهة بالانجليزية في جد وحماس وعنف واجتهاد فتملكتني الشفقة عليه ويعزيني الضحك، ويتجاوب على شفتي الابتسام من هذا الذي يجد ويتحمس في البرهنة على الهزل والضحك ويخطر لي أن اركبه باللهو والعبث فأقول له: (لا يا صاحبنا ريموند) لست أنت بالفكه، وليست الأمة الانجليزية بأكثر الأمم فكاهة ومعرفة بها، وشأنك في هذه البرهنة كشأن رجل صاح يبرهن على أنه نائم ويشتد في البرهنة ويقسم بأغلظ الايمان انه في قرارة النوم العميق، والا فأين الانجليز من ضحكة (رابلية) الشاملة

وسمر (فرانس) العابث حتى من نفسه، وظرف (هايتة) الذي لا مثيل له. وضحك (سرفانتس) وعبثه اللاعب الحكم ! . وليس مضمون هذا القول أنني أنكر على الانجليز فكاهتهم، أو اتهمهم بالعجز والقصور، وكل ما أقوله أنهم ليسوا بأحسن الأمم في هذا الباب.

أول من عرف الأدب الفكاهة في أثواب السخرية والنقد اللاعب، عرفهما في (ارستفاينس) استاذ الكوميديا، عرف الأدب فيه ناقداً ساخراً، ضاحكاً من الناس والأشياء ،وان من يقرأ بعض مسرحيات هذا الكاتب لا يمكنه أن ينسى ضحكات هذا الساخر ولا نقده العابث ولا نقيق الضفادع، ولا وزنه الاشعار والقصيد بموازين الاجسام والاثقال. كل ذلك ولا نرى على شفتيه أي ابتسام، وانما يجد ويعبث من خصمه عبثاً ويركبه نقداً، ويسخر منه سخراً ويمسخه مسخاً لا يذر منه شيئاً فينكره القارئ هازئاً ضاحكاً، ولا احسب الا أنه هو ناكر لنفسه إذا رآها على تلك الحال. وبعد أن حل أرسطو الفكاهة ووصل الى ان شخصيات المأسات أرفع من شخصيات الهزل، لأن في المأساة تمثيلاً للإنسان في أحسن وأعظم من حاضره، وفي المهزلة تصوير له في احقر من حاضره، ولهذا السبب فهو يرى ان الشخصية الهازلة أقل جمالاً وفناً من الشخصية الآسية، وهذا ولا شك – عندي – خطأ محض. ونحن لا نحكم الآن على اعمال الفنون بموضوعاتها وتصويرها للجمال او القبح ، والجلال او الخرص ، وانما في الاجادة والصدق للحياة، وأسلوب القبح ، والجلال او الرخص ، وانما في الاجادة والصدق للحياة، وأسلوب التصوير (والتنفيذ) وليس هذا الرأي بمحتاج الى مناقشة أو جدال لمن له اقل المام بأصول الفنون ومقاييسها...

وبعد كان للرومان فكاهة ولكنها ليست بالفكاهة التي تذكر الى جانب الفكاهة الاغريقية فهي كتابات (بلوتس) (وتيرنس) من كتاب المهازل المسرحية ولقد عيب على الالمان فقدانهم حاسة الفكاهة، وهو قول صحيح في جملته، ولكن الباحث المنصف لا يقدر أن ينسى في هذا الباب من هو في المقدمة من كتاب الفكاهة والظرف، واذا ما ذكرت الفكاهة وذكر السخر الطريف فلا شك ان

(هايته) يكون أول من يذكر في هذا الباب ويشاد بذكره، (وهاينة) والحقيقة لك يكن بالالماني فلا هو بالالماني الشعور ولا المزاج. ولو كان ألماني النشأة والثقافة والجنس، فمزاجه فرنسي، ونزعته عالمية، وليس لأمة أن تستأثر (بهايته) أو تدعيه لنفسها ، فهو ابن العالم البار، وهو ابن الدنيا وهو ظرفها وهو ذكاؤها الذي لا يحد. ولا أعرف كاتباً ممن قرأت شع ظرفه وفكاهته على العالم أجمع مثل ما يشع روج (هاينه) في ظرف وابتسام، وأناقة واحتشام ، كل ما يلمسه بريشته الدقيقة الساخرة.

وإن من أول دلائل عظمة (هاينة) أن يظل في آخر أيام حياته وهو طريح الفراش تتناوبه الآلام الممضة التي هي فوق احتمال الجسم البشري ثم يظل باسماً ينضح بالشعر الوجداني الرفيع وبالفكاهة العميقة والابتسام الظريف والفكر السديد وأن يكون هيكلاً عارياً من اللحم مغمض العينين مشلول اليديد ثم يهضب بالشعر الغنائي الحلو ذي الظلال والأنوار يشع بالفن الضاحك وعليه طابعه المشرق الابتسام الظريف الاسلوب هذا الانتاج العبقري لم يعرفه التاريخ لمريض مثل (هاينه) ذي خيال مصور، وعاطفة ملتهبة ، وظرف وكياسة ومرح. ويقول (برانديز) صاحب كتاب (التيارات الاساسية في القرن التاسع عشر) انه يمكن ان يقال ان هاينه أظرف رجل عرفه تاريخ الادب. وأنا اقول اذا استطاع الانسان ان يجد فريقاً (لارستفانس) في ظرفه الساخر ونقده الضاحك لما وجد غير (هايته) نداً وقريباً. وكل الفرق بين فن الرجلين أن اليوناني كان يعمل بالفرشة العريضة في قوة وعنف وان هاينه استعمل الظلال والانوار الدقيقة ولم يمسك غير القلم الناعم، ولم يخط غير الخطوط الرقيقة.

معاوية محمد نور

الفكاهة في الأدب

[٢]

أما الأدب الفرنسي فمشهور بفكاهته، معروف بدعابته، مشهود له بالتميز في هذا الباب غير منكور ولا مجحود على رجاله الأفذاذ صحة الفكاهة، ودلالتها على صحة الادراك. نحن لا شك ذاكرون في هذا الباب (رابليه) في هذا الباب استاذ (تسويفت) و (ستريني) من كتاب الانجليز. و (رابليه) عملاق من عمالقة الأدب الفكه، ذو فن قوي؛ تام الصحة، ولو أنه من النوع الشارد الخيال، الجامح التصور، غير أن وراء هذا الجموح فلسفة وفناً، وقصداً صحيحاً، ونقداً قويماً وغير (رابليه) من الكتاب الفرنسيين (فولتير) ذلك الساخر الباسم، الدائم بالسخر والابتسام، الهادئ في فكاهته من النظم والتقاليد المتشكك الذي لم يلمس شيئاً إلا مسخه وضحك منه ما شاء له المسخ والضحك، وفولتير لا يعرض عليك الصورة ويتركك لشأنك تقرأ فيها ما تريد، ولكنه يتوسطها ويشير إلى نفسه بين كل حين وآخر.

ولقد كان هذا المتشكك فيلسوفاً وهو يهزأ من الفلاسفة. وفكاهة فولتير مريرة جادة، مما ينافي روح الفكاهة وعنصرها أحياناً، سريعة الحركة، مشرقة الديباجة، ناصعة الاسلوب.

ولقد كانت (السوط) الذي ألهب به ظهر عصره وزمانه غير ان سخره ليس من ذلك اللون المرح الذي تستشفه وأنت تقرأ (ارستفانيس) وهو سحر – في جملته- تلمس فيه جانب العقل وعمل التفكير ويعييك منه مكان الاحساس والعاطفة، ولا يذهب الى روحك في مثل نشوة الخمر، بل يذهب اليها في مرارة وثقل. ولعل هذه الخاصة ملحوظة في فن (موليير) أيضاً موليير فكه الى آخر حدود الفكاهة ، ناقد عن فهم ، عارف للطبائع والنفوس، عارض كل ذلك في استاذية وحذق. وقصصه التمثيلية أمثال (الطبيب رغم أنفه) و(تارتوف) دليل على ذلك . غير ان قساوة نقده، ومرارة درسه الذي يود ايداعه عقل القارئ حري ان يحقر من شخصياته ويقلل من

شأنهم، ويجعلهم منبوذين مكروهين وتكاد تجوز هذه الخلة أحياناً على عناصر الضحك في القصة وتودي بالجانب الفكه منها. ولقد سلم من هذا العيب من الكتاب الفرنسيين (أناتول فرانس) الضاحك أبداً ، ففكاهته سخارة، ولكن في مرح، ضاحكة ملء فيها، عير عابئة بالنقد وشدائد الامور، غير معتقدة بخطورة الحياة وجدها لا تتحرج أن تتناول اقدس الاشياء في عبث وضحك، وان تركبها دعاية ومسخاً . ولهذا السبب تجد الفكاهة (فرانس) أسهل مساغاً، وأظرف وأخف من فكاهة (فولتير) العنيفة الجادة.

أما الفكاهة الانجليزية فهي فكاهة ضاحكة (قافشة) في جملتها ، مطلوبة لذاتها كعنصر من عناصر الحياة لا مادة للنقد والسخر والانتقام كما هو الشأن في كثير من الفكاهة الفرنسية، وإن شخصيات دكنز القصصية وشخصيات شكسبير (وبن جونسون) (وشريدان) (وجو تجريف) (وجولدزمث) وأندادهم من خالقي الشخصيات الفكهة، وكاتبي المسرحيات الهزلة، لم تكن كذلك إلا لوسع افق الحياة وروحياتها وتصوير ما غمض منها وما اتضح، وليدلوا على مكان الثروة والغنى في مثل هذه الحياة وطباع أبنائها. وانت قل ان تجد في الفكاهة الانجليزية مثل ذلك النقد، والسخر العابث ، والتحقير العامد – الأشياء التي تراها في موليير وتجدها عند ارستفانيس. ولننظر في شخصيات (دكنز) الفكهة امثال (كولب) و(ميسكادير) (وبيك بيك) فانها لسحر في ذاتها، وهي تعجبك في غرابتها وتستولي على نفسك وذاكرتك ومكان الضحك منك اكثر من أن تعني بنقدها أو الهزء منها وكرهها، أو التقليل من شأنها. وهنا عبقرية الكاتب الذي يعرض الشخصية الحقيرة الذميمة التي لا يمكننا أن ننظر اليها في الحياة العادية في غير اشمئزاز ولكن نحبها ونلهو بها وربما نسينا معايبها حينما نقرؤها فناً جميلاً. ولقد قيل عن (ستريني) الكاتب الانجليزي الفكه (إنه ليضحك مما يحزن، كما يجد مادة للشجو والأسى من مفارقة هازلة) وليس بعد ذلك عمق احساس ولا صدق عبقرية!.

ولقد نجد النقد في الفكاهة الانجليزية، ولكنه يطالعك في زي جديد، ويخرج لك في نمط غريب لم تألفه، كما ترى في شخصية (سيرولين باترن) في قصة (الاناني) لجورج ميرديث، فتعجب من هذه الشخصية الفكهة، وهي تعتقد انها من الجد في اقرب مكان ، كما تعجب لهذا (الاناني) الوضيع النفس والشعور وهو يعتقد انه الكبرياء والعظمة والسيادة وحب الغير وهو من هذه الاشياء برئ، وحتى في مثال هذا النقد ، تكاد ظرافته الشخصية ولذتها تنسيك النقد وما اليه.

وللروسيين مكان ملحوظ الجلال من منتجات الآداب الفكهة وبراعات السخر، واجادات الفكاهة والابتسام وهم معروفون بامتلاكهم لناصية هذا الصنف والتفنن فيه والابداع في نواحيه ومراميه. ونحن لا شك ذاكرون (دستويفسكي) في فكاهته العاطفة، (وتخنيوف) في ابتسامته الآسي، وجوركي في ضحكه الناقد المرير (وجوجل) – شيخهم وأستاذهم – الناضج بالضحك كما تنضح النافورة بالماء، الهازئ من اوضاع الجماعة ، المقلد لحركات الشخوص في تقليد عبقري مقتدر ، الخالق للفكه من لا شيئ، المبدع المبتكر للطريف حيث لا يرى الآخرون غير الضباب والفضاء ، وهو وخياله الجامح ، وفكاهته العارمة أشبه ما يكون (بربليه).

غير أن جوجل يسمو أحياناً الى اعلى سماوات الشفقة والعطف والمأساة الصارمة أبعد عن الضحك العابث والمرح الهازل كما ترى في القصة (العباءة) مثلاً. ويقول البرنس (ميرسكي) في كتابه الجامع الطريف في (تاريخ الأدب الروسي) (أن إذا كان الابتكار والابداع وحدهما يكفيان لعظمة الفنان فان (جوجل) ليقف الى جانب شكسبير ورابليه غير خائف ولا وحل) ويقول في مكان آخر إن اعماله الادبية – جوجل – لهي أعجب وأغرب وأطرف عالم خلقه فنان يكتب !)..

غير اننا نعتقد – بعد كل قول وعمل – ان تحفة الأدب الفكاهي حقاً هي لأديب اسبانيا الفذ (سرفانتس) في كتابه الخالد (دون كيشوت).

وليس هذا الكاتب اعظم أثر في الأدب الفكاهي فحسب، بل هو من كتب العالم المعدودة ، وإنه لحجة الفكاهة الرفيعة على كل من شك في عظمتها وجدها

وخطرها ، إذ أن فيه ألواناً من الصور وصنوفاً من العاطفة وضروباً من الحركة ودوافعها ومغرياتها، وأن فيه لسحراً وعطفاً، كما أن فيه ضحكاً وبكاء، وفيه صور رائعة التصوير ، محكمة الالوان ، تدق ظلالها حيناً فتراها دقيقة واضحة، وتكبر وتضخم حيناً آخر فما ترى غير الظلمة والانواء.

وأنا لا أعرف أثراً فنياً يمتزج فيه المضحك مع المؤسي والمشجي البليغ والدموع مع الهزل الدائم الابتسام، مثل ما أعرف في هذا الأثر كل ذلك في استباق فني وتصوير لوذعي، تنظر اليه من جهة فتندفع ضاحكاً وتنظر اليه من الجهة الأخرى فيغلب عليك الأسى والالم. بقي ان نسأل الى اي معنى اراغ (سرفانتيس) بتصويره لهذا (الدون كيشوت) أهو قصد الى نقد طائفة خاصة كما خيل الى بعض النقدة؟

ام كان قصده الدعاية والسخرية فحسب؟ أم اراغ النقد والاصلاح؟ وعندي انه لم يقصد شيئاً من ذلك في ذاته. ولم تكن غايته النقد والاصلاح اكثر من الدعاية والسخر. وازعم ان قصده كان أعظم من ذلك واشمل، وهو قصد المصور البارع الذي يهتدي الى الصورة الرائعة الفريدة التي يراها الناس غريبة مبتكرة ولو أنها اقرب أنوفهم وامام اعينهم – هي صور غريبة بعيدة، وهي مع ذلك صادقة وثيقة القربى الينا، ففي كل منا دون كيشوت، وإن لم يحسه، وفي كل منا محارب يحارب الطواحين يتخيل العظمة، ويضطرب في خياله وهو يدعي الفروسية!. وانا إن أحسد وأعجب فانما احسد واعجب من ذلك الفنان، ونجي ذلك الالهام وومض ذلك الوحي الذي الهم الكاتب تلك الصورة الرائعة التي أجملت تاريخ النفس البشرية وعرضت ضعف الانسان وجنونه كأشمل وأتم وأقوى ما تكون صورة. فما الدون كيشوت غير رمز الوهم والهوس والادعاء والجنوب والكبرياء والسخف والحكمة بعد التجرية، وآمال الاصلاح، مخاوف الطريق التي يمنى بها الانسان في ساعات يقظته ومنامه، وهو صورة تصف الانسان وغرائزة وأهواءه، تجابه مقتضيات الاحوال وعمل الاقدار وتقلبات الحياة، وهو مأساة الحياة تمشي الى جانب ضحكتها وعبثها

، وما اوسع الحياة وأبعد مطارحها ولم أتم هذا الكاتب وأشمله إذا ما ذكر تمام الكتب وشمولها !

وليس للايطاليين في هذا الميدان روح مشهور ، ولا هم من الأمم ذات الفكاهة الناصعة والسخر الرفيع وكذلك العرب لم يشتهروا بالفكاهة ولم تعرف عنهم هذه الخصلة معرفتها في آداب الامم الأخرى وان بالعربي لجفاء، وبه غلظة لا يسهل منها التظرف والضحك أو الاسترسال في الدعاية والسخر هذا والباحث قد يجد الفكاهة والسحر في بعض القصائد وبين مضامين الهجاء عند ابن الرومي وبشار وأبي نواس واضرابهم من شعراء العرب، كما أن الباحث لا ينسى أن يشير الى سخر ابي العلاء وفكاهته في رسالة الغفران مثلاً. غير أن كل هذا لا يسلك الأمة العربية في عداد الامم الفكهة، حيث ليس لها اجادات في هذا الفن معروفة كالتي ذكرنا الأمم الغرب.

ونخلص من هذا البحث الطويل لنرى حظنا نحن في وادي النيل من الروح الفكه، والأدب الفكاهي الرصين. وغير منكور على سكان هذا الوادي سرعة الخاطر وبراعة النكتة والعبث الضاحك ، والفكاهة السريعة القاطعة، وقد تسمع كل ذلك على ألسنة العوام وأشباههم فتعجب للنكتة ووقعها في مكانها، ونصيبها من العداء والنصر وسرعة الخاطر فتعرف أن الروح الفكه موجود ، وانه يحتاج الى التثقيف والتعهد ليينع ثمره في الفن المكتوب. غير أن الأدب الفكه لا حس له ولا أثر يذكر عندنا . وقد تعجب لهذه الظاهرة كما تعجب لغيرها ، تعجب لثراء هذا الوادي في الروح الشاعر. وفي ألوان الجمال وصور الشجو والأسى، والفكاهة والضحك ، وفقدان كل ذلك في أدبه المكتوب. واذا لم تبرز الى الآن العبقرية الشاعرة أو القاصة على ضفاف وادي النيل ، فلتبرز عبقرية الفكاهة وليست هي بأقل من الشعر والقصص وانما هي تتضمنها وتصبغهما بلونها الخاص، وقد علمنا أثر الفكاهة في تثقيف الشاعر وترهيف الاحساس وتوفير اسباب الحياة والعيش وإننا نود حين يذكر الأدب الفكه في العالم ان يذكر وادي النيل وأدبه ، وحيثما تقدر براعته ويذكر

أقطابه ان تذكر لنا براعات وأقطاب، وليس ذلك بكثير ولا عزيز على هذا الوادي الذي إذا لم يكن هو (الفن والاحساس) فأين يكون الفن والاحساس. إننا لنود أسماء تذكر الى جانب (جوجل) (ودكنز) (وهاينه) (ورابليه) وأندادهم. ما لنا ننتظر ولا نرى؟ مالنا نصرخ ولا من سيمع؟ ما لنا ندعو ولا من صدى أو مجيب ... إنما نرجو أن تعمل الثقافة عملها، وأن تعرف الفنون قدرها وخطرها في الحياة، وإنا لنود أن نكون أمه قارئة وأمة كاتبة، أمة تكتب الفن وتقرأ الفن، وتعيش الفن وتحياه ...

بقي أن نذكر بعض من تذكر أسماءهم في هذه الديار اذا ما ذكرت الفكاهة، وأول ما يحضرني الآن اسم الاديب شفيق المصري، وأنا لا أعرف كيف يسمى هذا الذي يكتبه شفيق المصري فكاهة، وهو ينزل على النفس منزلة الخطوة على الرأس، وليس فيه إحساس ولا وراءه ذكاء، وانما هو كلام ثقيل روعي فيه النقد في قالب لا تستثيغه النفس ولا تقبله روح انسان رقيق الشعور، وإن فكاهة العوام (الخسيسة) لأرقى عندي وأرفع غير أن الباحث المنصف لا يسعه إلا ان يذكر الاستاذ المازني في هذا الصدد بالخير الوفير، فان له الفكاهة، وروحاً جذابة، وقل ان يخلو له المقال من لذعة فكاهية. غير أننا يجب ان نقرر أن فكاهة الاستاذ المازني مع ذلك تكاد تتمركز حول شخصه، فهو ناقد لنفسه باعث بها، مشفق عليها، كما أن فكاهته من المرارة ومن الجد الواضح المتشائم ما يخرجها من الفكاهة العميقة التي لا تتقيد بشيء ولا تعبأ بشيء. واغلب ما يظهر الكاتب نفسه في زي المهزوم المدحور. فهذه (الفكرة) التي تستولي عليه كما تستولي (الفكرة) مثلاً على توماس هاردي، تنقص من شأن فنه وتجعله ضعيفاً ونحن نطلب فن الرحابة، وعدم الخضوع لوجهة النظر الواحدة. كما أن المرارة والفكاهة العميقة قل أن يلتقيا والفن الذي يحكي الحياة في إهمالها وعدم مبالاتها ويحكيها في عدم تحيزها لخير أو لشر هو الفن الرفيع وحده.

معاوية محمد نور

في الخرطوم
خواطر وذكريات
ارتسامات

الوقت ليل، والكون ساج نائم ، فما تسمع نأمة ولا ترى حركة ولا تحس سوى الركود والاغفاء، والسكون الشامل ، والظلام الصافي ، والهدأة الناعسة. ولقد تحس الحين بعد الحين حركة ضئيلة أو تسمع صوتاً خافتاً فيزداد إحساسك بذلك الصمت ويشتد تقديرك لذلك السكون، ويأخذك ذلك السحر ، وتستولي على نفسك تلك الهدأة ، ويغمرك ذلك الصفاء ، فتروح في عالم الأحلام والذكريات وتدلف الى عوالم الفكر والعواطف الشجيات !

وقد خيل إلى أن الحياة قد وقفت فجأة ، وأن الوجود قد أخلد الى نومه هادئة، ويعذبني ذلك السجو والسهوم فلا أستطيع أنا الآخر حركة او قياماً ، بل أظل اتبع حركة الماء الدفق أمامي حيناً آخر ، وأنا جالس على أحد المقاعد على ضفاف النيل الأزرق في مدينة الخرطوم .. والنيل ينساب في مشيته هادئاً كأنه صفحة المرآة الجاوة وعلى يميني في النهر بضع سفن بخارية وأمامي (الخرطوم بحري) وجزيرة (توتي) وعلى شمالي مدينة أم درمان، يخيم الصمت ، ويكسوها الليل ثوباً رقيقاً ، ويخيل الى أن ذلك الشجر يحني بعضه على بعض والذي يظل شارع الشاطئ، وذلك النهر الهادئ بما فيه من قنطرة وأمامه من مدينة وجزيرة وما فوقه من سماء تحسبها لشدة زرقتها وانكفائها على حدود النيل أن السماء نيل وأن النيل سماء، وان الكل صورة يمكن أخذها ووضعها في إطار للتفرج عليها واستلهام الوحي منها !

وخطرت سفينة من تلك السفن المرصوصة فحسبت لأول وهلة انها لا شك طامسة أثر ذلك الجمال ، عابثة بذلك الهدوء الصامت متلفة لتلك الصورة الرائعة ، ولكنها لم تصنع شيئاً من ذلك بل أعطت الصورة لوناً ، وزادتها حياة وبشراً ، وما يخيل للرائي أنها سفينة تعبر نهراً ، وانما كأنها قلم يرسم خطاً على صفحة ، أو كأنها شهاب يشق عنان السماء في انثناء وسرعة ! عجباً لمنظر النيل ليلاً.

ليس بعده جمال ولا جدال، وما يفوقه منظر مما رأيت سحراً وروعة، وما تستجيش الخواطر ولا يصفو الذهب ولا يتألق الفكر ؛ ولا تكثر الذكريات ، وتغمر النفس فيضاً وحنيناً مثل ما تفيض النفس في حضرة النيل، ويحن القلب ، ويحلو في كل ذلك الشجو والحنين!

ظللت الساعات وأنا مأخوذ بسحر ذلك المنظر ، في شبه صلاة روحية، وخشوع فكري وجلالة تغمر النفس وتخلع على الحياة شعراً وتحيطها بالأسرار والأطياف والأوراح ! يا لأسرار النفوس وخفاياها ! ويا لقدرة منظر كمنظر النيل على بعث رواقدها ، وزخر جميع تياراتها من حنين الى المجهول ، وشجو الى الماضي ، وتطلع الى المستقبل المنظور !

لم يظهر لي النيل في تلك الليلة بالشيء السائل المائي ، وإنما هو بالتماسك أشبه وإلى مادة كالزئبق أقرب فما تشهد شيئاً من العنف أو من الاندلاق الظاهر ، وانما تشاهد العمق البعيد متشحاً بثوب الهدوء والسطحية البارزة وتشاهد العدو السريع ولا تلمح شيئاً من آثاره ومظاهره، ولقد تسمع الوسوسة بين كل حين وآخر بين طيات المياه كأنما اشتدت بها الوحشة ، وكبر عليها الصمت والسكون. ولكن العالم غاف، وللعالم حرمة عندها، فتنطق في صوت خافت وتهمس بدلاً من أن تصفح ، وثم تعود الماء الى سكونه ووحشته الجميلة ، والعين لا تفتأ تنظر اليها ولا تتعب من ذلك ولا تحس إعياء ولا فتوراً ، ولقد يقع حجر أو ما شابه في النهر وسط ذلك السكون فيكون لصوت (النش) الذي يحدثه الحجر موسيقية لا تعثر عليها عند أعاظم أرباب الموسيقى والفنون. وأسأل أحياناً ، من أين يا ترى تأتي هذه المياه وإلى أين هي ذاهبة؟ أهي تفتر من هذه الحركة الدائمة والدائرة التي تنتهي لتبتدئ وتبتدئ لتنتهي؟ الى أين أيتها المياه ومن أين؟ ألا تفترين ؟ ألا تسخطين؟ ألا تنتابك عوامل الضجر والسأم؟ فألمحها تسخر بي وتشفق علي، وعلى شفتيها ابتسام ، وفي نفسها مرارة وهي تهمس خوفاً من أن تسمع. (هكذا ، هكذا ، قد نفذ القضاء أليس من الحماقة والضيق التأفف مما لا بد منه ولا محيد عنه. ونحن أبناء الحياة ولا شيء

هنالك غيرها ، أليس من الخير أن نتحملها ونكون عند ظنها ولا نفتر عنها ؟ بل نحياها في أناة ورضاء وابتسام معززة حديثها بالابتئاس والاصطخاب ونسيانها الشعور بالنفس وهزئها بشعور الملال والاعياء . والماء في جريه ووسوسته الدائمة يتخطى المدن والبلدان راكضاً وادعاً يمثل فلسفة الحياة وكيف يجب أن يكون احتمالها والتغلب على شعور الملال ودواعي الاعياء والسخط.

ويأتي النيل الأبيض من الناحية الأخرى وهو أكثر زبداً ورغياً وصخباً من النيل الأزرق ، قد ترى زبده المزبد، وآيه المصطفق يتكسر في عنف وشدة على الشاطئ ، حتى اذا التقي بالنيل الأزرق عند الخرطوم شد من أزره وأخذ يساعده وتكاتف الاثنان معاً في مرحلة الحياة التي ليس لها أول ولا آخر ، وهكذا يسيران وقد صارا نيلاً واحداً وقلت وحشتهما وزاد وهذا الجمال ما شأنه؟ هذا الجمال الساهي الوادع الذي تستمتعه النفس وتسمترئه لأول نظرة ويفرح له القلب، وتجذل الروح، ما له يميل ذهني الى خواطري محزونة ، وصور مشجية؟ هذه السفن التي تنبسط أمامي أجلها في خوف – ولعل السبب موت خال لي غريقاً في سفينة بخارية في النيل الازرق – و (توتي) منبسطة هي الأخرى أمامي ، ما لها تثير في نفسي شجواً حزيناً ، وما لشجرها الكئيب الذي لم يبق له إلا أن يدمع ، من هذه الوحشة الأليمة ؟ وإنني لاذكر (توتي) وأذكر أياماً لي بها وأذكر زرعها وأذكر مجدها ، اذكر تلك الخضرة ملء العين والبصر نهاراً، وهي الجلال والخوف والأطياف ليلاً – واذكر – ويا لشدة ما اذكر، اذكر أبي واذكر بين أبي، اذكر ذلك البيت القائم وسط الزرع وحيداً لا أخ له، كالشارة الموسومة وسط ذلك الزرع الحافل . أين كل ذلك اليوم. لقد مات أبي ، واضمحل الزرع وتهدم البيت وما بقي منه سوى الجدران والتراب ، وصار مأوى حيوانات ضارية تسكنه الهوام ويعمره الخراب الماثل للعيان.

وهذا الشارع الجميل المنسق على ضفاف النيل الأزرق ما الذي يتركه في نفسي من إحساس؟ لا تزال صورته التي رأيتها وأنا طفل بأم درمان مرسومة أمام ناظري وهي صورة فيها من الحنين والشوق والقدم ما لا سبيل الى وصفه على ان ما

يعني العالم بخواطر حالم مثلي ! وهؤلاء بعض الناس يتحدثون في شغب وقد خرجوا من دور السينما ، وربما كان هنالك حفلة راقصة ، وفي البحر حيتان ، وفي الشجر أطيار نائمة ، وغير هؤلاء وأولئك من أعمال متباينة ، وحالات مختلفة . ماذا يعني كل هذا التناقض ، سوى طريق الحياة وشمولها وعدم معرفتها للسيولة ، بل هي (الشدة) وهي القوة الغازية. تلك هي أم درمان وادعة نائمة ، ومن يدري ما بداخلها من حديث كيف نسيت نفسي في مرح وبساطة وانا على السفينة. كلها ذكريات قوية واضحة، تتسلل الى ذاكرتي من حيث لا اشعر – انني لفي حاجة الى (بروست) آخر ليصف كل ما يجري في وعي المستتر في تلك اللحظة من الزمان انها لتملأ مجلداً ضخماً وما تغني . وانني لاذكر ليالي بالمدرسة، وسماعي لذلك (البوري) الذي يهز كياني هزاً ويلج نفسي، ويذكرها بمن مات من أهلي وأحبابي. ولا ادري اي علاقة لذلك الصوت وتلك الذكريات المحزونة، فلربما لأن خالي كان ضابطاً، وان ذلك (البوري) يضرب لعشاء الضباط، وخالي مات. وأنظر الى يميني فأذكر ضواحي الخرطوم واذكر (بري) اليوم وانما اذكر (بري) التي لم أرها بل سمعت عنها وأصغيت الى أناشيد الفتيات وأغانيهن في مدحها (بري الطراوة بندور علاوة) – ان ذكر هذه الجملة لمثل أمامي صوراً من الماضي قوية، حية كأشد ما تكون حياة وقوة. يا لصور الماضي ويا لشجوه وحنينه أزاء ذكر شوقي الى الماضي ، واذكر حنيني الى المجهول ، واذكر شعور الاغتباط، والجمال الفني الذي أشرف عليه عند مشاهدتي النيل في تلك الليلة، فأقول يا للعجب. لتراني أود أن أعيش الماضي والحاضر والمستقبل في ساعة واحدة. يا لنهم الحياة وطمع الإنسان ، وعطش العواطف.

فأنا الآن اذكر كل هذا. أذكر الليالي القمراء بأم درمان وأنا صبي ألعب واذكر مكاني من الخرطوم، ومكان الخرطوم من الكرة الأرضية – إن صح أنها كرة – واذكر الخرطوم وجمالها الساهي ، وصفاءها الصامت، ورونقها وأحلامها وصمتها وما يحيط بها من ضوضاء ، وما يتصل باسمها من أسماء تاريخية وهالات وحروب. واذكر الحيتان في قعر النيل ، واذكر الشجر في وقفته الكئيبة ، ووحشته

الدامعة ، واذكر عوالم أخرى شهدتها أو قرأت عنها ، واذكر أبي .. وأذكر أختي الميتة .. وأذكر هؤلاء الراقصين القاصفين أبد الآبدين ، ولا نعرف عنها شيئاً يرتاح إليه الضمير ، ويسكن عنده الخاطر وإذا أنا في هذه الخواطر المسائية ، اشعر برعشة في جسمي ، وأحس بدمعة في عيني .. فما أدري أهذه الدمعة شعور يجذل الحياة ، أم هي بكاء عليها؟ غير انني أعرف انني أذهب وأعمل بعد ذلك كما يذهب أناس كل يوم ويعملون.

معاوية محمد نور

الأهالي بين المرض والجهل

نشر معاوية في جريدة الجهاد ١٥ مارس سنة ١٩٣٣ مقالاً تحت عنوان (الأهالي بين المرض والجهل) ينتقد فيها سياسة الإنجليز في هذه الناحية فيقول:

(من أهم ما يتعلل به المستعمر في السودان ويدعيه لنفسه وجهده أنه يحارب الأمراض القاتلة في تلك الأصقاع المجهولة وينشر مكانها الصحة والعافية وأن رجاله يعرضون أنفسهم للموت والاخطار في سبيل الصحة والراحة بين الأهالي فما نصيب هذه الدعوة من الصحة؟

نصيبها من الصحة نصيب كل دعوة كاذبة ينشرها المستعمرون في أوربا والشرق. فما أعرف أمة تشفى بالمرض والألم الجثماني في مثل ما يشفى السودان وما أعرف شعباً سرقت منه حيويته ومقدرته على العمل والانتاج مثل الشعب السوداني فالملاريا والدسنتاريا والبلهارسيا وخلافها من الأمراض المضعفة للجسم ما زالت تعمل بين جميع الأهالي وخاصة بين الفلاحين.

(وقد حدثني طبيب سوداني كان زميلاً لي بكلية الطب أنه كثيراً ما يهم بالقيام بجولات في القرى التي تقرب من مركز عمله لمعالجة المرضى ونصحهم ولاعطائهم ما تيسر من الدواء فكان رئيسه الانجليزي يمنعه من ذلك العمل لأنه لا يود ان يتصل الطبيب السوداني بالمرضى من سكان القرى لأن ذلك العمل يؤدي الى أحكام الصلة والعطف بينه وبين الأهالي والمستعمر لا يريد ذلك فاذا أتيحت له الفرص – وقل أن تتاح قام بنفسه يمثل هو العلاجات في القرى لكي يزداد الأهالي اعجاباً بالرجل الابيض لا بالأخ الأسود).

يهاجم معاوية الانجليز والحياة التي يعيشونها بينما الاهالي ينخر فيهم المرض.

(والدليل على ذلك أنهم في كل مدينة وفي كل مركز ينفذون مبدأ عدم الاختلاط في السكن فيبنون مساكنهم بعيداً عن المدينة الوطنية بنحو ٥٠٠ ياردة ويحرمون على أي سوداني أو وطني أو اجنبي السكن بالقرب منهم وقد رأيت بعض هذه المنازل الانجليزية في ود مدني فرأيت الجنان الخضر والشوارع المنظمة وميادين

التنس الفسيحة وكل بيت من هذه البيوت يجهز بالسلك الواقي من الباعوض وبكل وسائل الراحة والرفاهية والوقاية كل هذا على حساب مالية الجمهور).

هذا ومعاوية يكشف نوايا الانجليز نحو هذه الشعوب المستضعفة وتحقيرهم لها فيقول:

(يدعو اللورد لوجارد بضرورة العناية بالمطبخ للموظفين الانجليز وأن تؤسس في المدارس الحكومية فصول لتعليم بعض ناشئ المواطنين أصول الطهي الانجليزي لكي يتخرج الشاب الوطني فيجد مركزه مهيأ كطباخ كفء لأحد الإنجليز).

هوايات معاوية نور

أن التعرف على هوايات الأدباء تلقي الضوء على ادبهم وشخصياتهم وتساعد في تحليل ما يكتبون.

بالطبع كانت أمتع هواية عند معاوية هي القراءة فقد كان يقرأ معظم ساعات اليوم ويجد فيها لذة لا حد لها منذ ان كان طالباً في المدرسة واذكر في يوم رثائه في نادي الخريجين بأم درمان يناير عام ١٩٤٢م بدأ المرحوم اسماعيل الازهري كلمته قائلاً:

(ما بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٢ كنت ترى شاباً سودانياً دقيق الجسم يطيل الجلوس في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت ألا وهو معاوية نور).

وروت لي امرأة من أسرته أنها رأت معاوية في حفلة زواج اخته كان جالساً في احدى غرف المنزل ويقرأ تحت ضوء الفانوس الخافت بينما الشباب والشابات في أنس وطرب.

وذكر ادوارد عطية أن معاوية كان يسكن في غرفة صغيرة في السطح بالقاهرة مكدسة بالكتب المبعثرة وكان يقرأ الكتب في سرعة ونهم.

وكتب معاوية مقالة تحت عنوان فن التراجم الجديدة بمجلة الهلال ويقول (في الادب الغربي اليوم لون من ألوان الفن الرفيع تغري القارئ فيقبل عليها اقبال الجائع المريد).

وفي مقالة له تحت عنوان أنا والكتب يقول لا أعرف على وجه التحقيق متى أحببت الكتب أو متى هامت الكتب بطلعتي البهية .... فقد أكون مفلساً ولا أشترى

كتاباً واحداً لا أفتأ أزور المكتبات العامة كل يوم الى أن يضج أصحابها منى ومن أفلاسي ولكن لا أفتأ أزورها ذلك لأن لمراى الكتب عندي سحراً خاصة يزري بكل سحر وليس أجدب عندي في المكتبات من معرض الكتب في الواجهة الزجاجية واروح متنقلاً انظر الى الغلاف اللازوردي لذلك الكتاب ويستوقف نظري عنوان آخر ويحز في فؤادي ألا اكون الكاتب لذلك الكتاب ويشتد حزني أنني لا استطيع أن امتلك ذلك الكتاب الى ان يقول (تم يا صديقي هل يكفي ان يعرف الانسان الادب العربي أو الانجليزي او الفرنسي ليصبح أديباً واسع الاطلاع؛ لابد ان يعرف الادب التشيكوسلوفاكي والبولندي والدنماركي وأدب الهتنتون والمكسيك وبلاد الواق الواق ضروري كل ذلك ولكن أين النقود لعن الله النقود – ثم الوقت – لعن الله الوقت – هل يسمح بقراءة كل ما اريد قراءته؟ كلا لا يسمح ولكن ذلك لا يجب أن يقف في سبيل افتتاني بها وحبي لها وهيامي بها؟

وقد كتب معاوية مقالة في جريدة مصر بتاريخ ١٥ اغسطس ١٩٣١ عنوانها (كيف نقرأ).

(هنالك القراءة السريعة والغرض من مثل هذه القراءة هو تتبع الحادثة أو الفكرة بغض النظر عن التفكير في صحة الرأي أو الاسلوب والقارئ يستطيع أن يقرأ سريعاً بعد الممارسة الطويلة وبعض الناس يقولون أن مثل هذه القراءة أصل لابن القرن العشرين وأعود فهي تعود السرعة في الفهم والاقتصاد في الوقت في عصر الحركة والسرعة وتعدد العلوم والمعارف وللاساتذة الامريكيين مقاييس خاصة يقيسون بها سرعة قراءة تلاميذهم وقدرتهم على الفهم.

ويقول عن كتاب (ذكريات باريس) للدكتور زكي مبارك أنه قد قرأه في لذة وسرعة وكان معاوية عندما يحضر من بيروت ومصر الى السودان ينزل في الخرطوم في فندق الخواجة جانجي مكانه غرب البرلمان، في عمارة أبو عاقلة وذلك للتفرغ للقراءة نسبة لأن المنزل لا يهيئ له الجو الهادي للإطلاع ومن الهوايات الأخرى الرياضة فقد كان يمارس لعبة التنس في منزل خاله المرحوم ميرغني حمزة وكان بمنزله ميدان للعب التنس منذ سنة ١٩٢٦م.

أما من المسليات الاثيرة لدي معاوية هي لعبة (البلياردو) وكان يباشرها في (كلوب ام درمان) الذي كان يقع في ميدان المحطة الوسطى بالسوق وكان يلعب معه بعض المصريين والسوريين كما كان يلعبها أيضاً في مكان الحلواني مكان البنك التجاري اليوم وكان في مظهره أنيقاً يلبس دائماً الكرفته (البابيون) والكسكته.

ومن أصدقائه المقربين له والذين يقضي معهم أوقات الفراغ يتحادثون في الادب هم محمد أحمد محجوب (اولاد عشري) محمد وعبد الله وعبد الله ميرغني والدكتور عبد الرحمن عتباني وأمين بابكر ومكاوي سليمان اكرت والنور عثمان وحسن عثمان (الكد) رحمهما الله والدكتور عبد الحليم محمد.

وروى لي شقيقه الاكبر (شرحبيل) بأنه كان يلومهم لأنهم لا ينشرون المقالات التي يرسلها في مجلة الفجر ولكنهم يعتذرون بأن السلطات الانجليزية لا تسمح لهم بنشر المقالات السياسية في المجلة.

وكان معاوية يحب فتاة سودانية شقراء اللون (بضة) في عمر الزهور وكان منزل أسرتها يقع غرب دار الرياضة بأم درمان بالقرب من المدرسة الارسالية للبنات وكان صوتها جميلاً وعذباً ومحدثة لبقة وتعشق الغناء ولديها فنوغراف من نوع صوت سيدة (وبه مايكرفون ويملأ باليد وكان يجد في محادثتها متعة وترفيهاً والى الان هذه المرأة على قيد الحياة بعد ان صارت جدة وتسكن الان في حي بانت بأم درمان).

وقد ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين في مقالة له عن معاوية أنه عندما كان مريضاً بمستشفى القاهرة كان يحب ممرضة انجليزية جميلة غير أنها لم تبادله الحب ولكن كانت تعطف عليه.

وقد ذكر بعض معارفه أنه كانت لديه صلة بالاديبة (مي زيادة) ولكن لم أعثر على ما يثبت ذلك ولم يذكرها معاوية في كتاباته وربما يكون قد تعرف عليها عن طريق العقاد غير أن نهايتها كانت مأسوية كنهايته..

هذه هي هوايات معاوية في العشرينات فما هي هوايات شبابنا اليوم؟

ذكريات مع الطيب صالح ورايه في معاوية نور

كتب الأستاذ سليمان بانقا أذكر أول لقائي بالطيب صالح كان ذلك في يناير ١٩٤٥ بمدرسة ام درمان الثانوية وهي المدرسة الوحيدة في ام درمان وكانت تسمى كلية غردون، ولكن بعد قيام المدارس العليا نقلت الى ام درمان.

وقد جاء الطيب صالح من مدرسة بورتسودان الابتدائية وكان والده رقيق الحال وموطنه الاصلي (الدبه) بالشمالية، ومعه من التلاميذ الذين جاءوا من مدرسة بورتسودان الاستاذ كمال الدين عباس المحامي. ومدير المدرسة كان المستر (لانج) فقسم تلاميذ السنة الأولى الى خمسة فصول ومن زملاء الدفعة الاخوان الرشيد الطاهر والمرحوم بابكر كرار وعبد القادر حسين سليم المحامي والتجاني الطيب (الصغير) وحسن نوري و (المرحوم أبو القاسم ميرغني) الذي استشهد يوم تخرجه من كلية الخرطوم الجامعية – قسم الحقوق أثر حوادث أول مارس المشؤمة عام ١٩٥٤ وكان (برنجي) دفعته وهو شقيق الأخ عبد الكريم ميرغني.

ويعد تقسيمنا للفصول وجدت نفسي في فصل أولى سقراط ويجلس بجانبي في (درج) واحد الطيب صالح الشاب المتوسط القامة ذو العينين الواسعتين اللتين يلوح منهما بريق الذكاء وأذكر أول حصة كانت انجليزي وجاءنا المستر كرايتن وأملى علينا أسماء كل الفصول باللغة الانجليزية أمثال بتهوفن وسقراط وغيرهما.

وكانت أسماء انجليزية صعبة ولكن عندما نظرت لكراسة الطيب صالح وجدته أخذ النمرة الأولى في الفصل وعرفه مستر كرايتن منذ تلك اللحظة.

وكان عبد الله الطيب استاذاً بالمدرسة قبل أن يتحصل على درجة الدكتوراه وكانت صلتي بعبد الله الطيب حميمة لانه درسني أنجليزي في المدرسة الأهلية الوسطى في السنة الثالثة عام ١٩٤٣ وهي أول سنة بدأ فيها التدريس وكنا نتبادل الرسائل بعد أن سافر الى لندن لنيل شهادة الدكتوراه.

وجاءني الطيب صالح ذات يوم وقال لي أن عبد الله الطيب القى محاضرة للطلبة والاساتذة عنوانها (ما حملوه على بني امية) وقد كانت فعلاً رائعة ومنذ ذلك

الوقت أعجب الطيب صالح بعبد الله الطيب الاستاذ رغم أنه لم يدرسه في الثانوي وكان الطيب صالح يشترك في جرائد الحائط وروى لي ذات مرة أنه قابل المرحوم الاستاذ اسماعيل الازهري وسأله أسئلة ليكتب الرد عليها في جريدة الحائط – قال للاستاذ المرحوم أزهري – ما هو احسن كتاب قرأته؟ فرد عليه المرحوم أزهري بأن احسن كتاب قرأته هو القرآن ثم سأله ثانياً – ما أجمل بيت شعر أعجبت به؟

فرد عليه المرحوم ازهري بيت شعر من قول الامام الشافي:

أنا ان عشت لست اعدم قوتا ❖❖ وان مت لست اعدم قبـــرا

همتي همة الملوك ونفســي ❖❖ نفس حر ترى الذلة كفـرا

وكتب الطيب صالح هذه الردود في جريدة الحائط: وبعد قضينا السنه الاولى فى مدرسة ام درمان الثانويه ذهبنا الى مدرسة وادي سيدنا التي بنيت أساساً لتكون مدرسة ثانوية ولكن عند قيام الحرب العالمية الثانية استعملها الانجليز (كسكنات للجيش) وكنا أول دفعة تذهب الى وادي سيدنا وادخلت أنا في داخلية (كتشنر) والان اسمها (المختار) وكانت تضم ابناء ام درمان هي وداخلية (استاك) والتي اسمها الآن (جماع) وذهب الطيب صالح الى داخلية (نيوبولد) والتي اسمها الآن (ابو قرجه) وكان يصدر مجلة حائط أدبية اسمها (عكاظ).

وكان معي في الداخلية المرحوم جعفر محمد علي بخيت ومنصور خالد ومزمل سلمان غندور وكنت مع الطيب في السنة الثانية فصل (نيوتن) أما المرحوم جعفر محمد علي بخيت ومزمل سلمان غندور فكانا في السنة الثالثة ومنصور خالد في السنة الأولى. وكان المرحوم جعفر رئيساً للجمعية الادبية بالداخلية وكنت أنا سكرتيرها واذكر اننا اقمنا ليلة في ذكرى الزعيم (غاندي) الذي مات مقتولاً آنذاك. وقد تحدث فيها الاساتذة والطلبة ولكن طلبنا من الطيب صالح ان يكتب كلمته باللغة الانجليزية وهي الكلمة الوحيدة التي كانت بالانجليزي ولكن قد كانت من اروع الكلمات التي قيلت في تلك الليلة.

وفي أيام الجمعة كنا نذهب سوياً ونجلس في الفصل ونقرأ ديوان التجاني يوسف بشير ونحاول ان نفهم شعره. وكان الطيب يتأمل كثيراً التجاني:

في الليل عمق وفي الدجى نفق لو صب فيه الزمان لابتلعه وكنت عندما اذهب الى ام درمان ازور والد التجاني في السوق وكان يعمل اسكافياً وأسأله عن حياة التجاني منذ زمن الخلوة ودراسته ومكان عمله وكان يعمل محصلاً في محل (سنجر) بأم درمان.

واذكر مرة طلب منا الاستاذ أحمد المصطفى مدرس العربي أن نكتب موضوعاً (ماذا تريد أن تكون) فكتب الطيب صالح في كراسة الانشاء (أريد أن أموت) وقرأ لي هذا الموضوع وبدأ ببيت الشعر لابي العلاء.

وضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

ولعل أعجابه بهذا البيت هو الذي دفعه للكتابة في هذا الموضوع الغريب.

كان الطيب متميزاً تقريباً في كل العلوم بما في ذلك الرياضيات وكان أول الدفعة في الرياضيات عند دخولنا الثانوي. ثم دائماً لا يتعدى ترتيبه في الخمسة الأوائل وكان لا يرجع لمذكرات المدرسة الا في ايام الامتحانات وطيلة وقته كان يقضيه في قراءة الكتب. وتحصل على الدرجة الأولى في شهادة (كمبردج) عند دخوله لكلية الخرطوم الجامعية. ولكن قد اقنعه المرحوم مندور المهدي بأن يذهب لكلية العلوم وقد صادف ذلك هوى في نفسه وقد روى لي هذا عندما زرته في لندن وقال لي كنت أنوي ان اتخرج في كلية الزراعة وقد لمحت الى ذلك في كتاب (موسم الهجرة الى الشمال) حسب قوله.

وعندما كان في كلية العلوم كنا نحن في السنة الثانية في كلية الآداب وكان يدرسنا (المستر هارت) الشعر الانجليزي. وكان الطيب صالح يحضر بعض حصص (مستر هارت) ويجلس بجانبي وكان يجيب على اسئلة المستر (هارت) ويستغرب الطلبة الذين لا يعرفونه كيف يأتي طالب من كلية العلوم ويبرز في الانجليزي. وقد طلب الطيب من مستر (ولشر) مدير الكلية ان ينقله الى كلية الآداب

وتردد عليه فقال له مستر (ولشر) انك (ترس) في عجلة. واثرت هذه الكلمة على نفسية الطيب تأثيراً شديداً.

وفي أثناء وجوده في كلية العلوم فقد الرغبة في الدراسة وعندما جاء الامتحان لم يوفق فيه فترك كلية العلوم واشتغل معلماً بمدرسة رفاعة المتوسطة في المكان الذي كان يعمل فيه الأخ فتح الرحمن البشير الذي زاملنا في الدراسة ولكنه ذهب الى حنتوب الثانوية بعد ان تفرعت مدرسة ام درمان الى مدرستي وادي سيدنا وحنتوب الثانويتين.

وأذكر أنني زرت الطيب صالح في رفاعة واخبرته ان يكتب طلباً ليعمل مساعد ضابط تنفيذي مجلس ريفي الحوش بالجزيرة وقد كتب الطلب وأخذته منه وقدمته الى ابن عمتي (حسين شريف) الذي كان يعمل ضابطاً للمجلس ولكن لم يقع عليه الاختيار وهي نفس الوظيفة التي عمل فيها الأخ فتح الرحمن البشير بعد ذلك.

ثم قدم الطيب طلباً للالتحاق بالاذاعة البريطانية وقبل طلبه وعمل فترة طويلة بالاذاعة وكنت اقابله كلما اذهب الى لندن ونتحدث في شئون الادب واذكر ان تعرضنا الى ادب (معاوية نور) فقال لي الطيب ان معاوية نور (يتعالى) على كبار الكتاب المصريين ولو انه يذكر اسماء ادباء في الغرب ليست معروفة حتى بين الانجليز الان.

وكنت افكر في رأي الطيب في معاوية وقلت لنفسي ان الطيب غير مصيب في رأيه هذا وأنا شخصياً لا اسمي هذا (تعالياً) ولكنه كبرياء المعرفة وشعور بالتفوق لان معاوية كان يصادق كبار الادباء المصريين وتنشر له كبريات الصحف المصرية وكان معاوية يكتب في الصحافة المصرية وهو طالب في الجامعة الامريكية ببيروت وعمره لا يتجاوز التسعة عشر عاماً. اليس ذلك مما يجعل اديباً مثل معاوية أن يعتد بنفسه؟ ألم يقل من قبله المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ❖❖❖ وأسمعت كلماتي من به صمم

وفي الادب الغربي الم ينتقد (الدوس هكسلي) (شاركز دكنز) الروائي العالمي الشهير وأنزله من ربوته العالية وهو في سن الثلاثين كما قال معاوية؟

ورأي الطيب صالح في معاوية رغم أنه اشارة عابرة ولكن له دلالته لانه يوضح لنا آراء عظام ادبائنا في أدب بعضهم البعض وله قيمته الادبية الكبيرة لمرفتهم التامة والمامهم الثري بأصول الفن وفروعه المختلفة فمثلما تفوق الطيب صالح في كتابه القصة فقد تفوق معاوية في النقد الادبي.

كما لا يخفى على احد الغيره الادبية التي تنشأ عادة بين الادباء وهذه طبيعة انسانية مشروعة وأضرب بذلك مثلاً برأي طه حسين في أدب الدكتور عبد الله الطيب ورأي العقاد فيه أيضاً.

فقد قال طه حسين في مستهل مقدمته لكتاب المرشد لعبد الله الطيب ما يأتي:

(هذا الكتاب ممتع الى ابعد غاية الامتاع لا اعرف أن مثله اتيح لنا في هذا العصر الحديث).

وكانت المقدمة التي كتبها الدكتور طه حسين لكتاب المرشد كلها مدح وثناء وأعجاب به وأخيراً رشحه لجائزة الدولة التي تقدمها الحكومة المصرية لخير ما يصدره الأدباء من كتب. ولكن عندما علق العقاد على كتاب المرشد قال ان مؤلفه ذو فطنة وذكاء ولكن تفقده (الحاسة الفنية) وضرب العقاد مثلاً لذلك برأي عبد الله الطيب في شعر ابن الرومي وقد قال عبد الله الطيب في المرشد أن ابن الرومي كان يجمع القافية أولاً ثم يكمل عليها أبيات الشعر ولا شك ان قراء الادب يعرفون ان ابن الرومي اثير لدي العقاد ويظهر ذلك في كتابه (حياة ابن الرومي).

وعندي أن السر الدفين في رأي العقاد في كتاب المرشد وأتهام صاحبه بأنه يفقد (الحاسة الفنية) هو مخالفة رأي طه حسين لما بينهما من (حساسية فنية) وزاد من ذلك اعجاب طه حسين الى الحد الذي يقول في المرشد (لا أعرف ان مثله اتيح لنا في هذا العصر الحديث) ولا شك أن العقاد رائد كتاب هذا العصر الحديث وكتبه تعتبر من أعظم ما كتب وبالطبع لا يرضيه قولة طه حسين هذه وقد رد عبد الله الطيب على العقاد في صفحات الجرائد – دافع عن اتهامه بأنه يفقد الحاسة الفنية.

وفي أحدى المقابلات التلفزيونية مع عبد الله الطيب ذكر عبد الله الطيب أن مصدراً موثوقاً به وهو الدكتور طه حسين قد قال له أن شوقي كان يجمع القافية أولاً ثم يكمل ابيات الشعر وضرب مثلاً بسينية شوقي الذي جارى فيها البحتري ومطلعها.

اختلاف النهار والليل ينسى ❖❖ اذكرا لي الصبا وأيامي انسى

يريد عبد الله من الاشتشهاد بطه حسين في رأيه في شوقي ان يرد على العقاد ويقول له أن طه حسين يتفق معه في رأيه في ابن الرومي وكان يفعل ذلك أيضاً شوقي ولو أن عبد الله الطيب لم يشر الى ذلك في مقابلته ولكن هذا استنتاج مني ربما استطردت في هذا الموضوع ولكن اردت الا استبعد أن يكون الطيب صالح قد شعر (بالغيرة الادبية) عندما قرأ كتابات معاوية واطراء العقاد له في رثائه.

ولكن انصافاً للطيب صالح ربما يكون هنالك تفسير آخر لرأي الطيب في ادب معاوية وهو ان الطيب عندما قال هذا التعليق لا يريد أن يقلل من قيمة ادب معاوية ولكن بسجيته وتواضعه الجم يتوارى خجلاً وتحرجاً اذا اثنى عليه أمام وجهه ولا يحب ذلك منذ ان كان تلميذاً – لذلك يبدو له ان معاوية اكثر اعتزازاً بنفسه ولا يتحرج من ابراز هذه الصفة ولا ينسى أحد منا قول زكي مبارك عن نفسه (الدكاتره زكي مبارك).

والغريب رغم صلتي بالطيب صالح طيلة هذه المدة لا أعرف أنه كتب قصة واحدة سواء في الفصل أو خارجه الى ان فوجئت برائعته (موسم الهجرة الى الشمال) وبعدها صعد نجمه الى السماء واصبح شخصية عالمية حتى اسماه ادباء مصر (عبقري القصة العربية).

والغرض من هذا المقال هو تنوير الادباء بنشأة الطيب منذ الدراسة لتساعد من يريد ان يكتب عن حياة الطيب صالح في المستقبل لأن كثيراً من خفايا هذه المذكرات ليست معروفة لعشاق الادب ولا حتى لذاته.

وبما أن الموضوع هو (أدب معاوية) وددت أيضاً ان استشف رأي الطيب صالح في شخصية معاوية وأعترف ان استنتاجي هذا لا يسنده غير كلمة عبارة قالها الطيب لا أريد أن احملها أكثر مما تحتمل.

الشهيد معاوية

قصيدة للأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد

[من ديوان أعاصير مغرب]

احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ معاوية محمد نور وقد لقي نصباً من سقامه وعوجل رحمة الله في ريعان صباه، بعد أن بشر العالم العربي بآمل كبير لم تنجزه المقادير. وقد أرسل الاستاذ العقاد هذه القصيدة لتلقى في يوم تأبين

أجل هذه ذكـــرى الشهيد معـــاوية ❖❖❖ فيا لك من ذكرى على النفس قاسية

أجل هذه ذكــــراه لا يـوم عرســه ❖❖❖ ولا يــوم تكريـم، ودنيــاه باقيـة

فما قصر الدنيــا التي طول الضنـى ❖❖❖ اصائله فيها، واشقـى لبـــاليـه

وما أضيع الآمـــال آمـــتال مـن رأوا ❖❖❖ مطالعه في مشـرق النـور عـــاليـه

ومن ايقنـوا ان الهــــلال الذي بـدا ❖❖❖ على الافق آحـرى آن يعـم نواحيـه

بكـــائي عليـه من فـؤاد مفجـــع ❖❖❖ ومن مقلة مـــا شوهدت قط باكيـة

بكـائي علـى مـا اثمرت وهـي غضة ❖❖❖ وما وعدتنا، وهي في الغرب ماضيـة

فضـــائل منهـا نخبة أزهـرت لنـــا ❖❖❖ لما ما، وآخـرى لم تزل فيه خافيـة

تبيــنت فيـه الخلـد يـوم رأيتـه ❖❖❖ ومـــا بـــان أن المنيـة آتيــة

وما بــان لـي أني اطـــالع سيـرة ❖❖❖ خواتيـمهـا من بدئهـا جـد دانيـة

وأن اسمه الموعود في كـل مقــــول ❖❖❖ سيسمعه النـاعون من فم نـاعيـة

أجل هذه ذكراه يا عين فانكـــري ❖❖❖ فجيعتنا فيه، ومـا أنت نـاســيـة

أجل هذه ذكـــراه من نرتجيهـــم ❖❖❖ فيـــا طول حزن النفس والنفس راجية

ويــا طول حزن النفـس وهي منيـبة ❖❖❖ الى اليأس من عجز بهـــا، وهي آبيـة

ويـــا عارفيه لا تضنوا بذكـــــره ❖❖❖ ففي الذكر رجعي من يد الموت ناجية

اعيروه بالتذكـــار ما ضن دهــــره ❖❖❖ به عيشـة في مقبل العمـر راضيـــة

وزيـــدوا النفيـس النزر من ثمراتـه ❖❖❖ تكرارهـــا في القلب أولى وثانيــة

فإن لم تكن في العد كثراً فباركوا ❖❖❖ معانيـــهــا حباً، ووفوا معـــانيـه

عليـــه ســـلام لا يزال يعيـــده ❖❖❖ ويبديه شـاد في الديـــار وشــاديه